



جمادى الأولى وجمادى الثانية ١٣٢٧

أكبر الأشياء في العالم

أعلى جسر طبيعي في العالم هو جسر صخري في ولاية فرجينيا (الولايات المتحدة) علوه مائتا قدم.

أكبر مبلغ من الأوراق المالية المستعملة في العالم هو في الولايات المتحدة. فكان هذه الجمهورية العظمى يستعملون ٧٠٠ من تلك الأوراق في حين أن مملكة روسيا العظيمة تعمل منها ٦٧٠

أكبر شركة لضمانة الحياة في العالم هي شركة (موتشال) في مدينة نيويورك (الولايات المتحدة). رأس مال الشركة يبلغ ١٠٨ دولار.

أشهر صوت في العالم هو في قلعة (سيموزا) على مسافة ميلين من ميلان فإذا أطلق فيه عياراً ناري تراجع صده ستين مرة.

أكبر بركان في العالم هو بركان (إثنا). دائرة قاعدته ٩٠ ميلاً وعلوه ١٠٠٠ قدم وقد انفجر لأول مرة في سنة ٤٧٤ للمسيح.

أكبر شجرة في العالم هي في إباله (توكس) في (كاليفورنيا) علوها ٢٧٥ قدماً ودائرة محيطها ١٠٦ أقدام.

أكبر صحراء في العالم هي (شارا) في شمالي إفريقيا. طولها ثلاثة آلاف ميل وعرضها ٩٠٠ ميل ومساحتها مليوناً ميل مربع.

أكبر ماسة في العالم هي (براغانزا) في بلاد البرتغال تزن ١٨٨٠ قيراطاً وقد وجدت في برازيل سنة ١٧٤١.

أطول رجل في العالم هو يوحنا هال من إنكلترا. طوله تسعة أقدام وستة قراريط وطول كل من يديه سبعة عشر قيراطاً وعرض كل منهما ثمانية قراريط ونصف القيراط. أعلى عمود تذكاري أقيم في العالم حتى اليوم هو في واشنطن عاصمة الولايات المتحدة علوه ٥٥٥ قدماً.

أعلى بناء أقيم في العالم هو برج إيفل في باريس عاصمة فرنسا علوه ٩٨٩٥ قدماً وتم بناؤه سنة ١٨٨٩.

يعمر كل من الغراب والإوزة مئة سنة. والحدأة أو طير الرخم ٥٩ سنة والبعاء ٦٠ وأبو حوصل ٥٠ والقنبرة ٣٠ والعصفور الدوري والباشق ٤٠ والطاووس والكناري والغرنوق ٢٤ سنة.

أعظم جنادل في العالم هي شلالات (بيفاغارا) في الولايات المتحدة علوها ١٦٥ قدماً. أما أعلى جنادل في العالم فهي في كاليفرنا فمياها تسقط على علو ٢٥٥٠ قدماً.

أقدم مدافن في العالم هي مدافن ملوك مصر القدماء التي يرد تاريخها إلى ألفي سنة قبل المسيح. أما مدافن رومية القديمة ففيها نحو ستة ملايين من رفات الأموات. وأما مدافن باريس القديمة ففيها ثلاثة ملايين من تلك الرفات.

أكبر عدد عن الماشية جيء به إلى مدينة واحدة في العالم في سنة واحدة هو ما استاقوه إلى مدينة شيكاغو في سنة ١٨٨٤ وقد بلغ عدد الأبقار التي جلبت إلى تلك المدينة في تلك السنة ٩٨٤ . ٨٧٤ . ١ وعدد العجول ٢٢٣ . ٣٠ وعدد الخنازير ٦٢٥ . ٦٤٠ . ٥ وعدد الأغنام ٧٤٩ . ٩١٧ وعدد الخيول ٦٢٥ . ١٥ وقد شغلت تلك الماشية تسعة آلاف قطار كل منها مؤلف من إحدى وثلاثين مركبة. فإذا قطرت كل تلك القطر والمركبات يبلغ طولها ١٤٦ من الأميال.

أكبر مزرعة في العالم للغلات هي في الجنوب الغربي من ولاية لوزيانا. مساحتها شمالاً وجنوباً مائة ميل. وقد كلف تسيجها ٥٠٠٠٠٠ دولار.

أكبر عقد في العالم هو (اكودكت) في واشنطن، فهو يزيد عن عقد (شاستر) في انكلترا بعشرين قدماً وأطول من عقد (نيولي) باثني وتسعين قدماً ومن جسر واترلو في لندن بمئة قدم، أما علو عقد واشنطن فمئة قدم.

أوسع معادن العالم هي المسماة (فيربرغ) (ساكسوني) عرفت في القرن الثاني عشر للميلاد، وقد امتدت دهاليزها الغربية في سنة ١٨٣٥ إلى مئة واثنين وثلاثين ميلاً وأعمق عمود قائم في معدن في العالم هو في (بريزلرام) وهو معدن رصاص عمقه ٣٢٨٠ وأعمق معدن فحم حجري في العالم هو على مقربة من (ثور) في (بلجيكا) عمقه ٣٥٤٢ قدماً، على أن ليس له اسطوانة كاسطوانة معدن الرصاص المقدم الذكر، وأعمق نقب أو ثقب أو فتحة في الأرض هي بئر في (بوتسدام) في انكلترا، عمقها ٥٥٠٠ قدم، وأعمق اسطوانة معدن فحم حجري في الولايات المتحدة هي في بوتفيل (بنسلفانيا) عمقها ١٨٠٠ قدم ومن هذا العمق العظيم يتخرج يومياً ما يبلأ أربعمائة (كار) يسع كل منها (أربعة طنات) من الفحم الحجري وأعمق معدن

فضي في الولايات المتحدة هو المدعو (بلوجاكت) في (فرجيناسي) في ولاية نيفادا، وأوطاً مسطحاً ٢٧٠٠ قدم.

أكبر جسر حجري على وجه البسيطة أنجز في أيار سنة ١٨٨٥ في (لفانغ) في الصين بناه مهندسو الصين وهو يقطع جون البحر الصيني طوله نحو ستة أميال وله ٣٠٠ عقد طول كل منهما سبعون قدماً وهو أعظم بنيان شيده الإنسان (ومع ذلك ترانا نزدري بتلك الأمة الوثنية العظيمة).

أكبر جسر حديدي في العالم هو ذلك الجسر الذي يقطع (فرث تاي) في (سكوتلاندا) طوله ١٨٩١٢ قدماً، وأكبر جسر خشبي في العالم هو ذلك الجسر الذي يقطع بحيرة (بونشارتين) على مقربة من نيواورلين، طوله ٢١ ميلاً وأعلى جسر في الولايات المتحدة هو المبني فوق نهر (كيزينا) على مقربة من (برادفورد) بنسلفانيا بني سنة ١٨٨٢.

أكبر ثور في العالم هو في (فيلادفيا) (الولايات المتحدة) بلغ وزنه ٤٩٠٠ (بوندا) وأكبر بقرة بلغ وزنها ٣٢٩٦ بونداً.

أشهر وأكبر وأجمل بناية للعبادة في العالم هي كنيسة القديس بطرس في رومية، موقعها في شمالي غربي رومية وقد بنيت على هيئة الصليب اللاتيني، طولها ٦١٢ قدماً ونصف قدم وعلوها ٤٤٨ قدماً وعلو قبتها ١٥٢ قدماً ونصف وقطرها ١٦٣ قدماً أما وزن جرسها ما عدا المطرق أو المطرقة فنحو ٣٧ قنطاراً وقد أسست في سنة ١٤٥٠ للميلاد وعاش ومات فيها ٤٣ باباً.

أكبر بنيان شيده يد الإنسان على الغبراء هو هرم مصر مساحة قاعدته ٧٦٢ قدماً وعلوه ٤٨٦ قدماً وهو يشغل ستة أفدنة من الأرض وقد قدر العارفون من المهندسين نفقاته بثلاثين مليون ليرة انكليزية وأنه بني نحو سنة ٢١٧٠ قبل المسيح أو في عهد

ابراهيم الخليل وأنه تقاضى نحو عشرين مليون قنطار من الأحجار النحيتة وأن تلك الأحجار قد جلبت من مقلع عظيم من البلاد العربية على مسافة نحو سبع مئة ميل. أكبر وأنفس قصر في العالم قصر اللورد (بيوث) في انكلترا يشغل مساحة من الأرض قدرها ثلاثة أفدنة، وقد بني على نسق بناء قدماء الغوطيين ويبلغ علوه مئة وعشرين قدماً وتقدر نفقاته بشمانية ملايين دولار.

أكبر جسم مائي بارد في العالم هو بحيرة (سويبرور) طولها ٤٠٠ ميل وعرضها ١٨٠ ميلاً ومساحتها ٣٢٠٠٠ ألف ميل مربع وعمقها ١٢٠٠ قدم ومساحتها أكبر من مساحة (نيو انكلترا) وهي تعلو عن سطح البحر ٦٣٦ قدماً.

أكبر آلة لنقل الآلات في العالم هي آلة شركة المركبات الكهربائية في (بولمان) على مقربة من شيكاغو (الولايات المتحدة) وقد اجتهد امبراطور برازيل أن يشتريها فلم يفلح، أما علوها فأربعون قدماً وقوتها توازي قوة ١٤٠٠ حصان ولها اسطوانتان طول كل منهما أربعون قيراطاً.

أكبر قارب في العالم هو قارب (سولانا) المستخدم اليوم بين (بنيسيا) ومرقاً (كوستا) طولها ٤٦٠ قدماً وعرضه ١٦٦ قدماً وعمقه عشرون قدماً وله ثمانية مراحل من بولاد وثلاث دفات.

أعلى بناية في العالم بعد برج (إيفل) وبناية مرصد واشنطن ودار البلدية في (فيلا دلفيا) الولايات المتحدة هي بناية كنيسة (كولوغن) علوها ٥١١ قدماً وطولها كذلك وعرضها ٢٣١ قدماً، أمت في ١٥ آب سنة ١٢٤٨ وكمل بناؤها في ١٤ آب سنة ١٨٨٠ أي بعد أكثر من ٦٠٠ سنة من عهد وضع حجر زاويتها.

كان الباحثون يظنون أن أعلى جبل على وجه البسيطة هو جبل (إيفرست) أما اليوم فقد بدا فساد ذلك الظن، فجبل (هيركولس) أعلى منه فهو اي هيركولس يعلو عن

سطح البحر ٣٢٧٦٣ قدماً ويعلو ايفرست عن سطح الأوقيانوس الهندي ٢٩٠٠٢ من الأقدام وقد اكتشفه القبطان (لاوسون) في سنة ١٨٨١ في جزيرة (بابيوا نيو جينيا).

أكبر ولاية في الولايات المتحدة هي تكساس وهي تحتوي على ٢٧٤٣٥٦ ميلاً من الأرض الخصبة وتسع وعشرين مليوناً من الناس ولا يتحدثون فيها بهذا العدد أكثر من احتشاد سكان اسكوتلاندا في الزمان الحاضر وقد قدر أنها تسع كل سكان الكرة الأرضية وأنه يصيب الواحد منهم أربعة أقدام من الأرض.

أطول أنهار العالم هو نهر (ميسوري) في الولايات المتحدة، طوله ٤٣٠٠ ميل ويجري مساحة ١٧٢٦٠٠٠ من الأميال المربعة، وأوسع نهر في العالم هو نهر (أمازون) في برازيل طوله ٤٠٠٠ ميل ويجري ٢٣٣٠٠٠٠ من الأميال المربعة.

أكبر ديوان للجمارك في العالم هو في (نيو أورليس) له ١١١ غرفة وعلوه من قاعدته إلى قمة إطار عموده ثمانون قدماً ومن قاعدته إلى رأس قبه ١٨٧ قدماً ومساحة هذه وحدها ٤٩ قدماً مربعاً وعلوها ٦١ قدماً وذلك الديوان مبني من الرخام والأخشاب النفيسة ويقدرون تكلفه بأربعة ملايين وتسعمائة دولار.

أكبر نزل في الولايات المتحدة وربما في العالم هو نزل (بالاس) في سانفرنسيسكو كاليفورنيا وهو مؤلف من تسع طبقات وقد كلف ثلاثة ملايين دولار ونصف مليون دولار (واحترق في جملة ما احترق من القصور والدور الشاهقة في ١٨ نيسان سنة ١٩٠٥ وسبق ذكر ذلك في مقالة للسربر في حريق وزلزال سانفرنسيسكو نشرت في الجزء السابع من سنة المقتبس الأولى).

أجمل ملعب في العالم هو في باريس عاصمة الفرنسيين، وهو مبني من الحجر الناعم الصلد الجميل وأرضه مرصوفة بالرخام وهو يشغل ستة أفدنة من الأرض، أما

(لاسكال) من ميلان فيها أكبر محل للجلوس، وأما دار الخطابة في شيكاغو التي تم بناؤها في سنة ١٨٨٩ ففيها سبعة آلاف مقعد للجلوس.

أكبر مجلد عرفه الإنسان منذ الخليفة حتى اليوم هو كتاب الملكة فيكتوريا المنتقلة إلى رحمة ربها في سنة ١٩٠١ وهو يتضمن التهانئ التي وردت عليها بيوبيلها ويبلغ سمكها ١٨ قيراطاً ويزن أكثر من عشرة أرتال.

أكبر كاس للفحم الحجري في العالم هو في (ادوارد شفيل كوليرين) في بنسلفانيا الولايات المتحدة وهو يحضر من الفحم الحجري ما يملأ أربعمئة كاراً (مركبة) في كل عشر سا .

أعظم علو بلغ المنطاد هو ٣٧٠٠٠ قدم أو نحو سبعة أميال وكان ذلك في ٥ تشرين سنة ١٨٦٢ في ولفرها فتسن في انكلترا.

أطول سلك برقي مفرد في العالم استخدم لأجل رسالة برقية فقط هو في الهند، فقد مد فوق نهر كيتوا بين بزورا وسكتوكروم أما طوله فأكثر من ستة آلاف قدم وهو يمتد من قمة جبل إلى قمة جبل آخر وعلو ذينك الجبلين نحو ألفي قدم.

أكبر تمثالين في العالم هما في يابان أحدهما في نارا وعلوه ثلاثة وخمسون قدماً وتسعة قراريط وكان أول نصب أقيم في القرن الثامن على أنه قدم فيما بعد وجدد في سنة ١٢٢٣ وأما الآخر فهو نصب كاماركوررا وعلوه ٤٧ قدماً.

المعرب أقول ومن هذا يظهر أن المغاربة الذين ما زال صغار العقول منهم وكثرو الدعوى الفارغة بينهم يشمخون بأنوفهم على المشاركة ويقولون في انحطاطهم وجهلهم كل كلمة عوراء أن الشرق سبقهم في نصب التماثيل بمئات السنين كما سبقهم بكثير

لما يفاخروننا به في هذا .

أكبر منارة في العالم هي في سدي استراليا، فقوة نورها توازي قوة نور مئة وثمانين ألف شمعة، وتشاهد تلك المنارة على مسافة خمسين ميلاً في البحر، وثاني منارة في العالم بكمبريا وقوة نورها هي في باليس اندوستراي وقوة نورها توازي قوة نور مئة وخمسين ألف شمعة، أما منارة سان جوزف كلفرينا فقوة نورها توازي قوة أربعة وعشرين ألف شمعة، وأول منارة أنشئت في العالم كانت في جزيرة فاروس القائمة على ثغر الاسكندرية.

أكبر بلاطة رصفت في دار للسكن هي في دار وليم فاندربلت المثري الشهير في مدينة نيويورك، وقد جلبت من قضاء بايك في بنسلفانيا (الولايات المتحدة) وكلف نقلها لنيويورك تسعة آلاف ومئتي دولار أما أكلافها كلها فبلغت سبعة وأربعين ألف دولار. أعظم ملاك للأراضي في العالم هو ولسن ودفهام فله من الأراضي في المكسيك وغير المكسيك مليون ونصف مليون فدان آكر وكلها صالحة للزراعة.

أعظم وزر قلعة أو حصن أو معقل للفنون الحربية هو وزر غيرلتر فهو يشغل صخراً ناتئاً خارج البحر طوله نحو ثلاثة أميال وعرضه ثلاثة أرباع ميل ويعلو عن سطح البحر ١٤٣٥ قدماً وجهته الشمالية عمودية في حين أن جهته الشرقية مائى بالأحاديث المرعبة، ويمدد من الجنوب المكان المعروف برأس يوربا وتحدده في غربه أقل منه في شرقيه ويفصل بينه وبين البحر مضيق وتلك القلعة من القلاع التي هزأت وهزأت بحملات الجنود البواسل وتنازل مدافعهم الهائلة ويبلغ عدد الجنود فيها في زمن السلم سبعة آلاف جندي.

أكبر كهف بحري في العالم هو في مقاطعة ادونسن كنتكي في الولايات المتحدة وهو على مقربة من النهر الأخضر ونحو ستة أميال من مدينة قاف وثمانية وعشرين ميلاً من بولن كرين.

أكبر جرس في العالم هو دير بودهست على مقربة من قانتق في الصين، علوه ثمانية عشر قدماً ومحيط دائرته خمسة وأربعون قدماً وهو واحد من الثمانية الأجراس النحاسية العظيمة التي سكبت بأمر الامبراطور يانغ لو في سنة ١٤٠٠ للمسيح وقد كلفت ثمانية نفوس في أثناء صبها وحفر على ذلك الجرس العظيم ثمانية وأربعون حرفاً صينياً تؤولف قصة صينة شهيرة.

أكبر آلة لرفع المياه في العالم هي تلك المضخة الطلبية المشهورة في فردسفل بنسلفانيا الولايات المتحدة، فهي ترفع في الدقيقة سبعة عشر ألف وخمسة غالون مكيال انكليزي يسع عشر ليرات أو ١٤٤٠ درهماً من الماء أما قطر دواليها ذات الدفع فهو خمسة وثلاثون قدماً ويزن كل منها مئة وستين قنطاراً وطول قضيب مجذافها أربعون قدماً وقطر اسطوانتها مئة وعشرة قراريط وقطر قبضتها ثمانية عشر قيراطاً. أكبر مدفع في الولايات المتحدة هو في معقل هملتن في مرفأ نيويورك العظمى، طوله ٣٤٣ قيراطاً، وقطره الأعلى ٦٤ قيراطاً وقطره الأدنى ٣٤ قيراطاً وقطر ثقبه ١١ قيراطاً ويبلغ ما يحشى من البارود منتي بوند وترن قبلته ألفي بوند.

أكبر مطرق بخاري في العالم هو لشركة المعمل الحديدي في بيت لحم (الولايات المتحدة) فقوة ضربته أو صلته توازي ثقل خمسةة قنطار وهذه المطرقة لأجل صنع السبائك الذهبية التي تزن الواحدة منها من أربعمئة إلى ستمئة قنطار.

أعظم مدينة شاهدها الإنسان منذ عهد الخليفة حتى يوم الناس هذا هي مدينة لندن أو عاصمة بريطانيا العظمى، فهي تشمل سبعمئة ميل من الأرض وعدد سكانها نحو ستة ملايين نفس، منهم أكثر من مليونين من الأجانب من كل ناحية من نواحي الكرة الأرضية المعمورة، وفيها من الكاثوليك الرومانيين أكثر من كاثوليك رومية ومن اليهود أكثر من يهود فلسطين ومن الايرلنديين أكثر من سكان دوبلن في ايرلندا ومن

الاسكوتلنديين أكثر من سكان ايدنبرغ ومن أهالي ويلس أكثر من سكان كاردف ومن المزارعين أكثر من سكان أفضية ديفون ووارو كشر ودورهام. وتلد فيها نفس كل خمس دقائق وتموت نفس في كل ثماني دقائق ويحدث يوماً سبع حوادث في شوارعها التي تبلغ ثمانية آلاف ميل ومعدل كل من تلك الشوارع أربعون ميلاً ويبني فيها خمسة عشر ألف بيت سنوياً.

والمعدل السنوي لزيادة السكان في لندن من طريق الولادة فقط هو ٤٩٠٠٠ نفس تجد في مرفئها يوماً ما يزيد على ألف سفينة وعشرة آلاف ملاح، وفي لندن حوانيت للمشروبات الروحية يبلغ طولها إذا بني كل منها إلى جنب الآخر ثمانية وسبعين ميلاً، ويقف كل سنة أمام دكة القضاء من سكرها ثمانية وثلاثون ألف سكر وتفتح أبواب الحوانيت فيها ثمان مائة ألف مسافة سبعين ميلاً.

وللندن نفوذ بين في كل صقع من أصقاع العالم، ويوافيها من الرسائل سنوياً ٢٩٨٠٠٠٠٠٠٠ رسالة ويمر يوماً على منعطف شافام فيها خمسون قطاراً، ويسير في نفقها تحت الأرض ١٢١١ قطاراً كل يوم، ويركب في مركبات شركة الحوافل أومبيوس فيها كل سنة ستة وخمسون مليون راكب.

والغريب أن الخطر في السير في شوارع لندن أكثر منه في السفر في القصر أو السفائن البحرية بين نيويورك وليفربول ففي سنة ١٨٨٦ قتلت المنقلات أو المركبات ١٣٠ نفساً وتضرر ٢٠٠٠ في شوارع تلك العاصمة.

أما عدد كل فرقة من رجال المحافظة في لندن وسافة المنقلات والعملة في إدارة البريد فهو ١٥٠٠٠.

وتنفق لندن سنوياً على النور الكاز ثلاثة ملايين دولار، وعدد جرائدها اليومية والأسبوعية ٤٠٠.

أما تاريخ تأسيس لندن فيرجع إلى سنة ٢٨٣٢ للعام أي أنه انقضى على أول بناية
بنت في لندن ٣٠١٥ عاماً ومياه لندن نظيفة وصالحة للشرب ومعدل الموتى فيها
قليل جداً لنكلن نبراسكا الولايات المتحدة.

يوسف جرجس زخم

حقوق البشر

من المحال أن نأمن غوائل المستقبل ودواعي الزمان وتغلب الأشرار وتلاعب الفجار إذا
لم نغرس في قلوب أبناء الأمة محبة الوطن الحقيقية ونعرفهم حقوقهم وواجباتهم للهية
الاجتماعية ونرقي شعورهم وعواطفهم بحيث ينطعون على عزة النفس وإباء الضيم
وحرمة الفضيلة واحترار الرذيلة، فيصبحون بذلك على أهبة الدفاع عن مصلحة الأمة
والوطن دفاع البطل المستميت الذي يرى لثم شقار السيوف وشرب كأس الخوف
خيراً من الصبر على الذل والرضى بالعار واهتضام الحقوق ولا سبيل للوصول إلى
هذه الغاية الشريفة إلا بالعلم والتربية، أريد بالعلم جماع العلوم الصحيحة التي بنت
قواعدها على البراهين القاطعة وأريد بالتربية تهذيب الناشئة على مقتضى الحكمة
والعقل تهذيباً ينسف بروج الخرافات والأباطيل نسفاً ويقذفها في اليم قذفاً، وأول
شيء ينبغي أن يجعل نصب أعين المصلحين تعليم الأمة حقوقها المقدسة وأخص بالذكر
حقوقها الاجتماعية التي كانت مداسة بالأقدام منذ ألوف من الأعوام.

شعار الإنسان الحرة، وهي التخلص من قيود الأسر المادي والأدبي، ولا يجوز أن يطلق
إنسان على من عدم هذه الحرية وكان في إمكانه نيلها.

الأسر الأدبي أشد تأثيراً وأمر فعلاً من الأسر المادي، وهو أن يكون الإنسان تابعاً لآراء
غيره مقلداً له في أفكاره وحركاته تقليداً أعمى لا يميز الصحيح من الفاسد ولا يعرف
الحيث من الطيب. . وما أبعد الحرية عن أناس إذا سمعوا منادياً ينادي في الأسواق

تجمعوا حوله ونظروا إليه وإذا تبع ذلك المنادي واحد منهم تبعوه جميعاً وهم لا يدرون إلى أين يذهب بهم ذلك المنادي إلى ذرى جنات النعيم أم إلى أسفل دركات الجحيم.

وفي قصة (أعطه جملة) عبرة وذكرى تبين لنا معنى الأسر الأدبي بياناً لا يدع مجالاً للشك والريب!

مالنا ولهذا أليس الجهل رقاً مؤبداً وأسراً مخلداً. . وأعظم مراتب الجهل جهل الإنسان حقوقه الاجتماعية ومن كان في غفلة عنها فهو حيوان مسخر يستخدمه الآخرون بأبخس الأثمان. . . في عنقه حبل الأسر مشدود الوثاق وفي رجله قيد النذل والهوان. ثم إن من عرف حقوقه ولم يكن في جسمه دم حار يدفعه للذود عن حياضها عندما تمسها أيدي الظلمة الغشبية فهو دون مرتبة الحيوان!.

ولا يقيم على ضيم يراد به ... إلا الأذلان عبر الحي والوئد

هذا على الخف مربوط برمته ... وذا يشج فلا يرثي له أحد

ما هي الحقوق المقدسة التي يجب على كل فرد معرفتها؟

إليك سبعة عشر بنداً تتضمن حقوق البشر وأبناء الوطن نظمتها خمسة أعضاء من مجلس التأسيس الذي انعقد إبان الثورة الكبرى في فرنسا سنة ١٧٨٩ وقد تلاها أمام المجلس الخطيب الطائر الصيت ميرابو في اليوم الثاني عشر من شهر آب وقوبلت بالقبول والامتحان في السادس والعشرين من ذلك الشهر وهي الآن فاتحة دستور الحكومة الجمهورية في فرنسا. . ومن تأملها يجدها وقد جمعت فواعت من حقوق البشر وواجباتهم وما أجدر أبناء وطننا أن يحفظوها بالحرف ليعرفوا مكانهم من هذه الهيئة المججلة وهامي:

١ يلد الإنسان حراً ويظل حراً، والناس متساوون في الحقوق لا امتياز لأحد على الآخر إلا بالأعمال التي تعود على المجتمع بالنفع الشامل والخير العام.

٢ الغاية من كل اجتماع سياسي صيانة حقوق الإنسان الطبيعية التي لا تسقط بمرور الأيام وكرور الأعوام، وهذه الحقوق هي:

الحرية.

الملك.

الأمان على النفس.

الدفاع عن النفس.

٣ الأمة أصل كل سلطة وسيادة. . فليس فرد من الأفراد أو هيئة من الهيئات استعمال سلطة لم تخوله إياها الأمة.

٤ الحرية هي القدرة على أي عمل لا يضر بالغير ويسوغ لكل فرد من أبناء المجتمع التمتع التام بحقوقه الطبيعية التي تنتهي حدودها عندما تتدنى حدود حقوق الآخرين وحدود الحقوق لا تعين إلا بنص القانون.

٥ ليس للقانون أن يحظر إلا الأفعال التي تضر بالهيئة الاجتماعية، كذلك لا يجوز لأحد من البشر مطلقاً أن يمنع أمراً لم يحظره القانون كما أنه لا ينبغي أن يجبر أحد على عمل شيء لم يأمر به القانون.

٦ القانون مجموع إرادة الأمة، ولكل فرد من أبناء الهيئة الاجتماعية الحق الصريح بالمشاركة في وضعه إما بالأصالة واما بإرسال نائب عنه، ومن الواجب المتحتم أن يكون حكم القانون عاماً شاملاً سواء في القصاص والعقاب أو الحفظ والحماية، وبما أن جميع الناس متساوون في نظر القانون فمن البديهي أن تفتح أبواب المناصب

والمراتب وخدم الدولة العامة لأبناء الوطن كافة على السواء كل بحسب استعداده وكفاءته لا يمتاز بعضهم على بعض إلا بالفضيلة والدراية والمعرفة.

٧ لا يجوز بتاتا قمة أحد أو حبسه أو توقيفه إلا في الأحوال المعينة في القانون وعلى الطرق المصرح بها فيه.

والذين ينفذون أوامر عرفية أو يتوسطون في تنفيذها ينالون قسطهم من العقاب. غير أنه يجب على كل من يدعي باسم القانون تلبية الدعاء في الحال ومن يمتنع عن الإجابة بعد من المخرمين.

٨ لا ينبغي أن يوضع في القانون إلا العقوبات الضرورية التي لا بد منها، ولا يجوز أن يعاقب أحد إلا بنص القانون قد سن ونشر وطبقت أحكامه على الأصول قبل حدوث الجرم.

٩ الأصل براءة الذمة، فكل فرد من أفراد الهيئة الاجتماعية يعد بريء الذمة إلى أن يثبت جرمه، فإذا دعت المصلحة لإلقاء القبض على أحد قبل المحاكمة وثبوت الجرم فعلى القانون أن يمنع كل شدة وقسوة لا تفيدان في معرفة ذلك الرجل.

١٠ لا يؤخذ أحد أصلاً عن آرائه وأفكاره ولو كانت فيما يتعلق بالأمور المذهبية والمسائل الدينية، إلا إذا كان التظاهر بمثل هذه الآراء والأفكار يخل بالراحة العامة التي تكفل بها القانون.

١١ حرية بث الأفكار والآراء من أجل حقوق الإنسان وأمنها، فلكل فرد من أفراد المجتمع الحرية الكاملة بأن يكتب ما يشاء وينشر ما يشاء ويتكلم بما يشاء.

غير أن سوء استعمال هذه الحرية داخ للسؤال والمؤاخذه على مقتضى الشروط المصرح بها في القانون.

١٢ لا بد من قوة عامة (يريد بها الجند) لصيانة حقوق الناس وأبناء الوطن وهذه القوة معدة لحفظ منافع الأمة جمعاء لا لحفظ منافع الذين أنيطت بهم إدارة هذه القوة! .

١٣ لا غنى عن تكاليف عامة لإدارة تلك القوة وتدبير شؤون الملك، ومن الواجب أن توزع هذه التكاليف على جميع أبناء الوطن كل بحسب قدرته واستطاعته.

١٤ يحق لأبناء الوطن البحث في لزوم هذه التكاليف وتحقيقها إما بالأصالة أو بالنيابة، ومن حقوقهم الإقرار عليها ومراقبة صرفها في وجوهها وتحديد مقاديرها ومدة دوامها وتعيين طرق جبايتها. .

١٥ من حقوق الهيئة الاجتماعية مراقبة العمال ومناقشتهم الحساب فيما يأتونه من جميع الأعمال.

١٦ أي هيئة اجتماعية لا تصان فيها حقوق الإنسان ولم توزع فيها القوى العامة التشريعية والعدلية والإجرائية فليس لها دستور.

١٧ الملك حق جليل لا يقبل الغصب لذلك لا يتزع من أحد ماله بتاتاً، وإذا مست المصلحة العامة لاستملاك بعض الأملاك فمن الواجب أن تكون ضرورية ويعطى ثمنها لصاحبها.

عبد الوهاب

مصالح الأبدان والأنفس

تابع ما في الجزء الماضي

القول في الشراب

الطعام عامته جسم أرضي يحتاج إلى ما يرقق أجزاءه ويهيئه للقوة الهاضمة وحقيقة الشراب هو الشيء الذي إذا طبخ صار جميعه بخاراً بلا ثقل كالماء فأما ما يبقى له ثقل أو يعقد منه شيء إذا طبخ فهو بالطعام أشبه وأوفق الأشربة التي يكثر استعمالها

الكنجين العملي لأن فيه قوى العسل والخل، ولهما الجلاء والتحليل، وعلى هذين المعين مدار أفضل المعالجات فإن الأشياء التي تحفظ الأجسام وتنع من العفونة والفساد هي الخل والعسل والملح والصبر فقد اجتمع في الكنجين شيان من هذه الأربعة.

القول في المسمومات

كما أن الماء ليس يغذو بنفسه، وإنما هو مركب للغذاء كذلك الهواء لا يغذو إلا بما يتصلبه من الرائحة الطيبة وكذلك وقع المسموم في باب حفظ الصحة ويجب للحكيم أن لا يترك الانتفاع بالروائح الأربعة وأن يجعل اسمها عاباً لأن للمسمومات قوى مفرطة في الحرارة والبرودة فربما ضرت مداومتها فلأن حاسة الشم إذا انغمست في الروائح الطيبة كلت عنها وفترت لذقا منها كالعطارين والدباغين في القيدن ولا يذني المسمومات إلى أنفه إثناءً كثيراً لغلبة الكيفيات بل يبخر له المجلس وثيابه ويجمع من المسمومات رطبةً كانت أو يابسةً طبائع مختلفة لتكون أقرب إلى الاعتدال وأعون على الاستكثار فإن التركيب ألد ما اسعمل في الأطعمة وأنفع ما اعتمل في الأدوية كالأبارجات ونحوها.

القول في النوم

من كان أرطب بدنًا كان النوم عليه أغلب والمشايع أكثر نوماً إلا أن رطوبتهم ليست أصلية فضعف لذلك نومهم واضطرب وهو من الأقوات الطبيعية إلا أن الإكثار منه يرخي البدن ويهيج الوجه ويكل الحواس ويملاً الأعضاء فضولاً ويفتر الحركات وربما كان سبباً لعفونة الإخلاط وإضعاف الحفظ والفهم والذكاء، والحاجة إليه في الصيف أكثر لغلبة الحرارة واليس فيه ولطول نهاره وكثرة التعب بحركات اليقظة فيه وهو في الربيع مستلذ وفي الصيف علاج ويجب أن لا يلحق المرء نصف الليل إلا وهو نائم

فهو حقيقة الليل واستحكام الظلام وأن امتد به السهر فلينم في السحر وقبل طلوع الفجر فإن اتصال اليقظة ليلاً ونهاراً ليس بصالح والنوم في أول النهار خطأ لأنه وقت الانتشار وحركة الحيوان فالنوم فيه تنكيس للأمور الطبيعية عن جهاتها وكذلك آخر النهار، لأنه ينقص نوم الليل ويفسده والليل أفضل الأوقات للنوم ويحمد النوم عند الغم والخوف لأنه يقلل الحرارة التي يهيجها، وتقدير زمان نوم الحكيم، الثلث من جميع ساعات الليل والنهار ولا يلزم شكلاً واحداً في النوم فربما اضطر إلى غيره ولا يوقظ الإنسان بإزعاج فإن نفسه تتموج وأعضائه تسترخي عند نومه، فكل شيء من الأفعال الطبيعية فيجب أن يكون الانتقال منه إلى ضده بتدرج وترتيب وليكن النوم بالليل على فراش وثير والجلوس بالنهار على مقعد وطيء.

فصل في الباه

ينبغي تجنبه في حالي الخواء والامتلاء وحال الامتلاء أسلم، وفي حال الغم والحزن وأن تكون التي تواقع محرمة النفس بنشاط أو غضب فإن ذلك يوجب ذكاء المولود وليجنب مجامعة العليلة والفاترة النفس والمسترخية البدن والمغلوبة بالنوم فإن ذلك يوجب بلادة المولود.

القول في الحمّام

وهو من أشرف مرافق الأبدان ومعاون الصحة لأنه يجمع الماء الحار، والهواء الحار فيفتح المسام ويخرج الرطوبة الفجة المتولدة عن فضول الأغذية التي مقامها في البدن مؤدياً إلى العلل والأسقام وهو يجمع إلى نقاء البدن من داخل نقاءه من خارج وتنظيفه من الأدران وفيه كذبة نفسانية لأن النفس مجرولة على حب الزينة والنظافة وكلما كانت أظف كان هذا الطبع عليها أغلب، ففيه لذتان للنفس والجسم، وأكثر نفعه لأصحاب الأبدان المتخلخلة، وربما ضر أصحاب الأبدان المتحصفة لأنه يثير الأبخرة

ثم يمنع الاستحمام من خروجها إلا بإطالة مكث في الحمام يحل القوة ويكرب ويضعف ويجب اجتنابه في الصيف أو تقليل اللبث فيه جداً وأصلح الأوقات له الغدادة لأنه بعد ثقل النوم وبرده ورطوبته، وليجتنب على الامتلاء فإنه يثور ما في المعدة والجسم محتاج إلى التسكين في ذلك الوقت ليم هضمه وربما أحدث ضرراً عظيماً، ويهجر بعقب الجماع والعب والاستفراغ وهيجان الأعراض النفسانية ولا يعمل الغذاء بعد الخروج منه ولا الركوب والعب إلا بعد راحة أو نومة لأنه ينور الإحلاط، فتحريك البدن قبل أن تستقر طبيعته قرارها ضار مخوف العاقبة، ويجب استعماله غباً فإنه أدوم للذمة وأعدل لنفعه.

القول في الحركات الرياضية

الرياضة من أشرف العلاجات وقد نرى أصناف الحيوان تستعملها وتختلف في الطيران والمشي غير طالبة لشيء من مأكّل أو مشرب غير الحركة فقط، وقد ترى الماء الجاري بعيداً من الفساد، والراكد كثير العفونة ولذلك صار المترفون يدفعون إلى أمراض مزمنة كالنقرس وغيره، والإنسان خلق خلقاً متحرراً مثناءً بالطبع فإذا عطل نفسه مما خلق له أداء ذلك إلى المرض ولا يسرف في الحركة فإن إفراطها أسرع في توليد الأمراض، والملوك أحوج إلى الرياضة من العوام لكثرة تودعهم ولاختلاف الأطعمة والأشربة عليهم، فأما العوام والسوقة فهم في رياضة دائمة، وأفضل الحركات حركة المشي وحركة الركوب دونها ويجب أن يحرك البدن على الدابة، ومن الحكمة أن يترع الإنسان في القوس الشديدة نزعات كل غدوة ونعم الرياضة لأهلها اللعب بالصوالة ويجب أن يبدأ الإنسان بالرياضة ثم الاستحمام ثم السكون ثم الأكل ثم النوم ثم الشرب، ومن لم يتهياً له المشي والركوب، فالكلام والمحادثة فقد قيل أن الكلام الكثير يهزل الغذاء وفي وقت اشتداد الحر لأن غلبة الحر تحلل القوة الغريزية.

القول في الصمير

هذا أحد المعاون في حفظ الصحة ولا سيما بعد التعب والحركة والخروج من الحمام ومن الدليل على الانتفاع بالصمير وإخراجه الأبخرة وفتيحه المسام استدعاء الطبيعة الحل لإبراز البخار الذي يحتقن داخل المسام واسعمالها الصمير والتأويب لذلك ولا سيما عند حركة الحمى وامتلاء البدن من الفضول والتمرخ لمثل ذلك لا يكون الصمير بحرق بل برفق ولا في حال امتلاء.

القول في السماع

يجب أن يميل الملك من السماع إلى ما يوقر ويرزن دون ما يخفف لتلا تقع الأبصار منه على ما ينقص الهية وإن مالت نفسه إلى ذلك كان في حال خلوة.

القول في الأدوية

الأدوية كلها مضادة للطباع والقوة تجاهها فلذلك يجد البدن بعد الاستفراغ ما يجده المستريح من التعب، وفعلها في الأبدان إذا كثرت كفعل الصابون ينقي ويخلق وهي إن وافقت فضلة أخرجتها والا أخرجت الرطوبة الغريزية فكان ضررها بذلك عظيماً والأبدان المتحصفة التي لا يسهل خروج الأبخرة منها أحوج الأبدان إلى المداواة. . .

فصل في الحرارة

لا تجوز المداواة في صميم الحر لأن الغريزية تضعف في عمق البدن وتبرز إلى ظاهره فلا يجوز أن يجمع عليه الضعف من هذا الوجه، والضعف بالإسهال والحرارة إذا ثبتت في ظاهر البدن جذبت الإخلاط إلى خارج، والدواء يجذبها إلى داخل فتجري بينهما ممانعة وتعب الطبيعة ولا يضمن معها مضرة شديدة ولا في صميم البرد لأن الإخلاط جامدة عسرة الحركة فربما كان في مجاذبة الأدوية لها سجع وأضرار بالآت الغذاء.

فصل في العلاج

يجب أن يكون العلاج بما يدخل في باب الغذاء أكثر منه بما يدخل في باب الدواء لأن الغذاء شكل، والدواء ضد، وأن يختار الأسلم منها وإن كان نفعه أقل، فتدارك التقصير أهمون من تدارك الإفراط وتدارك الحمية قبل الدواء بيومين أو ثلاثة ويحتمب اللحم لأنه يملأ الأوعية وغيره مما يولد السدد والحامض لأنه يحتمس، فربما أحدث الدواء بعده سحجاً بل تستعمل قبله الأغذية الخفيفة الدسمة الخفيفة لتجلبو المجاري وتسلسلها ويشيع الدواء بحمية أيام لتوب إلى البدن قوته ويحتمب بعده التخليط فإن الشيء الضار على النقاء. . . . النقاء أشد ضرراً.

فصل في إخراج الدم

بحسب الانتفاع بإخراج ما له كيفية رديئة من الدم يكون الاستضرار بإخراج النقي الجوهر منه وإذا يتبع في جوف العروق لم يشف إلا إخراجها بالقصد وإذا كان في خارج العروق نفعت منه الحجامة والصبي والشيخ يضعفان عن القصد والأكحل عام النفع لجميع البدن والقيفال لأعلاه والباسلق لأسفله ويجب إخراج الدم على ثلاثة وجوه إما غلبة الكمية بغير كيفية فاسدة وعلامته ثقل البدن وحكة ليس لها لدغ شديد أو لفساد الكيفية بغير كمية فيكون مثل الماء الذي يغلي على النار، وعلامته حرقة الجسد وينور لذاعه أو تغلب فيه الكيفية والكمية فتمكن منه العفونة والاستحالة وعلامته مجاوزة الأعراض التي ذكرناها إلى توليد الأمراض، والحمايات والأورام، والصف الثاني يخرج منه القليل وربما أغنى فيه التسكرين والأول أكثر والثالث يخرج منه كل ما تحله القوة ويقدم الفصد قبل الدواء لأن الإخلاط الآخر متشبهة بالدم وربما أغنى إخراجها عن السهل وليكن الإقدام عليه وقت استحكام قوة البدن ويمتنع بعد

الفصد من الأغذية التي تولد السدد والكيوس الرديء كالبقول والفواكه ويحسب على حال خواء أو امتلاء أو حمار أو جهار أو تحرك بعض الأعراض النفسانية.

القول في حفظ صحة الأنفس

ينبغي للعاقل أن يشعر نفسه أن الدنيا مبنية على الشوائب والتكدير فلا يطلب منها ما ليس في طبيعتها ويسعمل التغافل وترك الاستقصاء ويروض نفسه على احتمال صغير ما بضجر فإنه تمرين على احتمال الكثير ومن التدبير البليغ أن يعرف الإنسان وزن نفسه ومبلغ استقلاله وقوة قلبه فيكون ما يخاطر في طلبه ويعرر له من مآربه بحسب احتمالته فإن راحة القلب وطمأنينة مع الإقلال خير من ضده مع ضده والإنسان يقبل من غيره أكثر مما يقبل من نفسه ولذلك يجب أن يكون مع الملك طيب لأخلاقه كطيب الجسم يذكره ويعظه في أوقات الخوف والغضب.

فصل آخر في الخوف

الخوف هو أبعد وأسهل والفرع لما هو أقرب أو أشد فلذلك كان الخوف مقدمة للفرع والجزع أشد الحزن فهو من الحزن كالفرع من الخوف.

فصل في الغضب

ينبغي للعاقل أن لا يفارقه من قد أطلق له وعظه وتذكيره في أول احتياج الغضب عليه وأن يصور أن الغضب كالنار أولها سريع الإطفاء وآخرها كثير الضرر فليقصد لقمع غضبه من أوله كما يكبح الفرس في أول جماعه ولتذكر فضيلة الحكم وشرف الكظم وما حازه الحكماء من حسن الذكر ويفكر في أن شدة الانتقام وسرعة المؤاخذة لنفر قلوب الخدم وتكسب الأحقاد والضغائن وتفسد طاعة المحبة وتنقلها إلى طاعة الرهبة والذين يطيعون الرئيس بالحنة حراسه من حيث يعلم (ولا يعلم) والذي يطيعونه بالرهبة يحتاج إلى الاحتراس منهم وما أحسن قول بعض الملوك (ما غضبي على من

أملك ولا غضي علي من لا أملك) ويجب أن يفكر في أنه لا يكاد يعاقب إلا علي ما فيه جنس منه ومن عاقب علي ما يأتي مثله أو بعضه فليس بمنصف ويذكر نفسه حرمان المضروب عليه ووسائله أو ما يرجو من مستأنف خدمته وما يتخلصه الحلم من طاعته ومناصحته ويجب أن لا يقع بصره علي من أغضبه إلى أن يسكن غضبه.

فصل في الخوف والفرع

ليس شيء يخاف من الإنسان كخوفه علي نفسه من التلف والآم ومنه شيء يكون علي البديهة لرفة الطبع وسرعة استحالة النفس وهذا لا حيلة في دوانه ويجب أن يفكر الخائف في قولهم أكثر الروع باطله فإن الحكماء شبهت الأمور المخوفة بالضباب الذي يتولد علي وجه الأرض فيتخيل الإنسان من بعد أنه جسم كثيف ليس فيه متفس ولا عمل للبصر فإذا أفضى إليه وجده شبيهاً للهواء الذي فارقه وشدة الخوف ربما أذهل عن الحيلة للخلاص مما يخاف فيكون الخوف داعية ما يخافه الإنسان والعامل لا يستجز مثل هذه الحال ويجب أن يفكر في أن الخوف والجزع من خور النفس وأنها خاصة للصبان والنساء فيغضب علي نفسه من أن لا يكون فيها من الجلادة والصرامة ما ينفي هذا العار عنه فليس شيء أبلغ في التشجيع من قوة الأنفة، ويفكر في أن الخوف فعل الغر الذي لا يعرف حقائق الأشياء ولذلك خوف الصبي أكثر وخوف من لم يشاهد الحروب والقتلة أوفر ولو قد تحقق الصبي من حال الأشخاص التي يفرع بها ما تحققه البالغ العالم لما خافها وقل اكتراته لها وخوف الصبي والجاهل كخوف الطير من الشبح الذي ينصب لها علي الزرع ولو تحققت كيفته لأقدمت عليه وكنفار الخيل من الأشخاص التي لم يألفها حتى تؤنس بما فالغ الأدوية في إزالة الخوف الاستكثار من العلم والمعرفة بحقائق الأشياء وتعميد حاسة السع والبصر ملاسة ما يهول ويجب أن يخرج أولاد الملوك إلى معارك الحروب لتهون عليهم الأهوال فإن الأطباء الذين

يشارون الكيّ والبط والملاحين الذي قد تمرنوا على الرياح العواصف والأمواج العظامم يقل ارتياحهم لما يشاهدون من ذلك ولذلك يرتاح الإنسان للمرض أول ما يناله ثم ينوبه دفعات فيألفه فيقل استيجاشه منه والجاهل تروجه الكسوفات والعالم العارف بأسبابها وحسابها قليل الارتياح منها وهذا مثل لغيره.

فصل في الحزن والجزع

الجزع أشد الحزن وهو كالنار الملتهية والحزن كالجمر الباقي بعد سكون اللهب وكان نفس الإنسان التي هي نور بدنه وضياء جسده في حال الغم والحزن، شمس كسفت وهو يفعل ضد المسرة فإن وجه الممرور مستبشر بهي مشرق والحزن لفوت محبوب كما أن الخوف توقع مكروهه والحزن أبداً لما مضى والخوف لما يستقبل والحزن انجهول السبب يرجع إلى الأعراض البدنية وتولده عن كدر الدم أو برده ومن أدويته النفسانية إحداث السرور بالمحادثة والمؤانسة وينبغي للمحزون أن يتذكر ما بقي له من قشبة (؟) فإن ذلك يسليه عن المفقود ويتصور كثرة الأسى له ففي ذلك سلوة ويتصور أن الحزن يلي كل يوم وينقص فإن الغمرك في ارتفاع المكروه ونقصانه يعقب سروراً عاجلاً.

القول في الوسواس

هذا منه جنس من قبل الطبع وما يقع في المولد وهو ألزم وأسلم من الغريب الطاري والوسواس على نوعين نوع فيما يرجى ونوع فيما يخشى فالذي يرجى كالشتهر بعشوقه فلا يعرف غير صياغة الأمانى فيه والاشتغال عن أكثر أعماله به، والذي يكون فيما يخشى فإنه يوهم الإنسان الشيء يخافه وهو بعيد عنه مقام القريب منه، فلا يزال نصب وهمه فكأنه يلاحظه ومتى أراد الاشتغال بغيره طفرت نفسه إليه، ومن شأن من همد حاله أنه إذا عرض له أمر من الأمور يمكن أن يتصرف على وجهين لم يذهب

وهمه إلا إلى ما هو أصعب وأخوف دون ما هو أسهل وأرجى ومن الأعوان على إزالة هذه الأفكار ترك الانفراد فإن الوحدة تيج الفكر لا سيما إذا كانت النفس ذكية رقيقة الطبع، وإنما تحمد الوحدة الذي سلطان يخلو بالفكر في تدبيره أو لعالم يخلو باستبطان حكمة أو لناسك ينفرد بمنجاة ربه وما خلا هذه الوجوه من أبواب التفرد مذموم، وعلى أن الله عز وجل خلق الإنسان يحب الأُنس والاجتماع مع أهل جنسه فليس يسد ذلك عن هذا الطبع إلا من عرض له نقص في طباع الإنسانية ومناسبة السباع وهو خلق موجود في الحيوان الذي طبعه أفضل وأسكن كبهائم الأنعام والطيور وضده موجود في السباع من الصنفين ولذلك قيل أن الواحد شيطان ويحجب الفراغ كتجنه الوحدة ويصرف الفاضل من أوقات زمانه عن شغله إلى قضاء أوطاره من اللذات والسماع اغرك لقوى النفس والنظر إلى الصور الجميلة والاستجداد منها ليكون أشغل لقلبه وأغلب على فكره والآن من طباع صاحب هذا العرض أن يكون ملولاً ومما يستعان به على صرف هذا الفكر الجليس الذي يتش به ليعرفه بطلان ما يتخيل له من الفكر الرديئة وإذا علم من نفسه أن هذا خلق وقع له بالطبع الأقدم والمزاج الأول كان أخف لعائلته وأقل الاشتغال سره به ومما يزيل كثيراً من الاستشعار التعويل على صناعة النجوم وما تشهد به من السلامة فإنها صناعة شريفة قد اسعملتها الأمم المتباعدة البلاد واتفقوا مع اختلاف ديارهم على صحة أصولها وتجربة فروعها فلا يجوز أن يكون اتفاقهم عليها باطلاً بل عن وحي لا يكذب أو إلهام لا ييطل ويجب أن يفكر في أن الله عز وجل لما أراد عمارة الدنيا جعل أسباب العطب ودواعي البقاء والنجاة أقوى من دواعي الانحلال والبوار وهذا أمر موجود بالمشاهدة فإننا نرى ذوي السلامة أكثر من ذوب العاهات والزمانة، فيكون هذا الفكر أميل به عن الخوف إلى

الرجاء وبالله التوفيق وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

نكارتر

الماسة المفقودة

كان نكارتر البوليس السري المشهور عند وقوع هذه الحادثة في مدينة دانفر من مقاطعة كولورادو، وقد دعاه إليها عمل مهم أنجزه فمألت الجرائد المحلية أعمدتها بذكر نكارتر وأعماله الغريبة ودار اسمه على الألسنة وتناقلته الأفواه.

وحين أتمى طعام الغذاء في أحد الأيام جلس في الغرفة مع معاونه باتسي وإذا بخادم الفندق أقبل عليه وسلمه رقعة زيارة قال له أن صاحبها يود أن يكلمه في الحال فأخذها البوليس وقرأ عليها اسم فيليب دلمار بصوت منخفض ثم التفت إلى معاونه باتسي وسأله هل سمعت بهذا الاسم قبلاً، فأبدى باتسي إشارة النفي، فتبسم نكارتر وقال إذن فلنستم هذه الفرصة للتعرف إلى هذا الرجل وقال للخادم أدخله لرى.

وبعد هنيهة أقبل الزائر وهو ربعة في الرجال قد لوحث وجهه أشعة الشمس وكانت حركاته العنيفة تدل على أنه عرضة لاضطراب وانفعال شديد حتى أنه لم يفكر بتحية البوليس عند الوصول بل صرخ قائلاً: يجب أن أسعيد ماستي المفقودة المدعوة (عين الشيطان).

فأجابه نكارتر: ذلك مما لا ريب فيه.

فقال باتسي ممعصاً: حسناً يفعل هذا الرجل إذا تكلم عن الشيطان ذاته.

ولكن الغريب استمع الكلام وقال بالغرابة أليس من العجب أن أفقد عين الشيطان ماستي الثمينة، فقال البوليس بتأن حسناً ولكن اسمح لي أولاً أن أقدم لك نفسي فأنا

نقولاً كارتير من نيويورك.

فعض الزائر على شفته ثم قال:

وأنا فيليب دلمار، وإذا كنت لم أقم بالواجبات فأرجوك مغفرة لأنني أضعت صوابي حين فقدت ماستي العزيزة التي لا يقع عليها ثمن.

فقاطعه نكارتر قائلاً: تفضل واجلس ثم قص علينا قصتك بالكينة التامة فإذا وجدت فيها ما يستحق العناية فأنا رهين أمرك.

فجلس دلمار على المقعد الذي أشار إليه نكارتر ثم ألقى على باتسي نظر مستفهم وقال أظن أن هذا الشاب مساعدك.

— نعم ومن أشد مساعدي ذكاءً ثم بعد أن تعارف الرجلان وتصافحا قال دلمار فلنعد الآن إلى حديث الماسة وأظن أنه يهملك أن تعرف تاريخها قبل أن تدخل في ملكي.

— لا حاجة لي بذلك فيكفي أن أعرف منك كيف ومتى انتقلت هذه الماسة إليك.

— إنها دخلت في حوزتي منذ سنة تقريباً وكنت في تلك الآونة تاجراً في كلكتا فاتفق

لي مرة أنني أنقذت حياة رجل برهمي له شرف أثيل وثروة جزيلة ودفعت عنه غائلة

لصوص داهمود — ولست أفخر بشجاعتي — ولكني أقول أي لحسن الحظ كنت

حاملاً مسدسي وأنت تعلمون أن السلاح الجيد يفعل ما لا تفعله البسالة.

— ذلك مشهور ولكنه يتوقف على المساعد الذي يدير السلاح.

إنني أجب على هذا — وأنا بريء من التجح — إنني اسعملت بمهارة فائقة، فإن اثني

عشر لصاً هاجموا البرهمي في ضواحي المدينة ولم يكن هناك سواي فبادرت إلى تجديته

مع أي لم أكن أعرفه قبلاً ولم أحج في إنقاذه إلى شجاعة فائقة بل كفي لذلك أن أطلق

النار ذات اليمين وذات اليسار وأن أعيد حشو مسدسي بأسرع ما يمكن فصرعت

رجلاً بكل طلق ولا أستحق الإعجاب بهذا فإن اللصوص كانوا قريين مني حتى لم

يمكنني أن أخطئهم فقتلت خمسة منهم ومات السادس أثناء نقله إلى المستشفى وفر
الباقون هاربين.

فابتسم نكارتر وقال له إذن فأنا لا أوثر أن أنازعك ما دام مسدسك في يدك لأنك
تبلغ به ما تريد.

— دعنا من هذا فلو كان لي جراحة أن أستخدم مسدسي منذ ثمانية أيام ما رأيتني اليوم
آتياً لأزعجك لأنني كنت أوقفت كقاتل، ولنرجع الآن إلى تنمة الحديث ففي اليوم
الذي تلا الواقعة أتاني البرهمي إلى مخزني وكان يريد أن يقدم لي هدية دليلاً على شكره
فأعطاني علبة صغيرة وقال لي أن ضمنها الماسة المعروفة في الهند بعين الشيطان ثم قال
لي أن هذه الماسة ذات قيمة لا تقدر يا صاحبي وأشير عليك أن تبارح الهند بعد الآن
فحياة الذي يملك هذه الماسة في خطر شديد لأن جميع الطبقات في الهند تعرفها وكثيراً
ما أثارت المعارك الدموية في سبيل امتلاكها، ثم ذهب البرهمي وتركني ذاهلاً
والصندوق في يدي وعندما فتحته وجدت فيه ماسة كبيرة الحجم جداً لم تقطع بعد
وتكاد لا تعرف لها لوناً لشدة صفائها، وعندما لم أدر ماذا أفعل ولما استشرت كبار
الجمهوريين في كلكتا وأخبروني عن قيمتها الحقيقية قمت عجباً ولم تعد حياة تاجر في
الهند تطيب لي فبعت مقتنياتي وعدت إلى الولايات المتحدة آملاً بأن أقطع الحجر وأبيعه
بأعلى ما يتيسر لي.

فسأله نكارتر وهل تقطن في كولورادو؟

— لا، إنني لم أقطن في مدينة بعد لأنني لم أترك الهند منذ أكثر من شهر وقد جئت من
بوسطن إلى كولورادو.

قبل أن أنزح إلى الهند أقمت عدة سنوات في هذه البلدة عساني أوفق إلى حشد ثروة
فأخذت أصدقاء كثيرين وفي هذه الآونة لم يسمح لي قلبي أن أمر في مقاطعة كولورادو
دون أن أذهب لزيارة أصدقائي القدماء.

وحيث نمتي إلي أن اثنين منهما يقطنان هذه المدينة ألقىت فيها عصا التسيار.

وقد مضى على هذا أسبوع وفي اليوم التالي من وصولي دعوت صديقي إلى العشاء في
الفندق فلبيا دعوتي وخصصت غرفة لنا فقط و . . . إن هذه لصدفة عجيبة أنا كنا
جالسين في هذه الغرفة عنها ذلك اليوم المشؤوم.

فقال البوليس إن الأمر ذو شأن خطير، إنك ولا ريب أريت الحجر الكريم إلى
أصدقائك.

— نعم وأسفاه.

— إذن فأخبرني بالتدقيق عن المدعويين الذين حضروا العشاء.

— حياً وكرامة، كانت المنضدة الطاولة موضوعة في الزاوية حيث يجلس المسير باتسي
الآن، وكان الخادم قد وضعها أولاً في وسط الغرفة كما ترونها الساعة ولكنني نقلتها
من موضعها لأنه كان يمكن القاطنين في الجوار أن يروا كل ما نفعله لو بقيت المنضدة
في محلها فغيرت وضعها وجلست قرب هذين الزرين اللذين تراهما في الحائط وأنت
تعلم أن الذي دعاني إلى وضع المنضدة هنا قصصته عليك لأنك ترد أن تعرف كل ما
جرى بالتفصيل وعندما وصل أصدقائي الثلاثة هضنا إلى المنضدة.

فقاطعه نيكارتر وقال له هل كانوا ثلاثة إنك لم تذكر لي حتى الآن سوى اثنين منهما.

— هذه هي الحقيقة ولكن واحداً منهما أحضر معه شريكه الأعمى فجلست قرب
الحائط حتى يسهل علي استدعاء الخادم بتحريك اللولب وجلس أمامي كراب الرجل
الأعمى وكان عن يميني شريكه ماتيو وعن يساري صديقي المدعو دونلسون.

— أرجوك أن تعرفني بأسماء أصدقائك الأولية.
 — فرانك ماتيو وجورج دونلسون أما كراب فأظن أنه يدعى يوحنا.
 — فردد البوليس لفضة جورج دونلسون وهو يلتفت إلى معاونه باتسي الذي كان إلى جانبه ثم سأل دلمار ما هي صنعة هذا الرجل.
 — يقوم بمشاريع كثيرة يؤمل منها أن يكتشف مناجم غاز.
 — حسناً كنت ظننت أنه هو وترابي مسروراً جداً لأنني أسمع عنه شيئاً.
 فعجب دلمار وسأل نكارتر قائلاً وهل كنت تعرفه قبلاً؟
 كلا ولكنني أود كثيراً أن أتعرف إليه وستكلم عنه فيما بعد. . . أرجوك الآن أن تتم حديثك.

والذي دفع نكارتر إلى السؤال عن دونلسون هو أن هذا الأخير كان له ضلع في كثير من الجرائم الفظيعة من قتل وسرقة بالتحريض والإغراء دون أن يعلم بما البوليس وكان هذا الداهية المحتال ينسل من وصلتها ولو علم بما البوليس لقادته إلى السجن أو إلى الكرسي الكهربائي (آلة الإعدام).

وكان نكارتر وباتسي هما الوحيدان اللذان قدرا أن يكتشفا أسرار فعلته، ولكنهما لم يكتشفا أمراً آملين أن يقبضا يوماً على الشرير ويدعما شكواهما عليه بالبراهين الجلية.
 ثم عاد دلمار واستأنف حديثه فقال: وانتهى العشاء كما تنتهي الولايم في الفنادق عادة وبعد أن رفع الخدم المائدة وقدموا القهوة واللفائف السكاير وخرجوا أخرجت الماسة من جيبي، فتناولتها الأيدي والكل يعجبون بما وسمع كراب الأعمى ذلك واذ لم يكن قادراً أن يبصرها أراد أن يحسها على الأقل، وبعد أن جسها وضعها بقربي على المنضدة آه إني أذكر كل حركة جرت عنده فقط نظرت كراب المسكين بقلب وعاء الكر عند ما مد يده ليناولني الحجر الكريم وسمعت تنهده حين وضعه أمامي، وبقي على

المنضدة هنية يسيرة يسألني في أثنائها أصدقائي ألف سؤال عن تاريخ هذا الحجر فلم أجد مانعاً من إخبارهم بكل ما جرى فقصصت عليهم كل ما أعرفه من تاريخ الماسة وكيف اتصلت بي . . . قصصت عليهم كل هذا بإخلاص وبساطة شأن الأصدقاء.

وأخيراً فرغت الأقداح فضغطت على زر الجرس الكهربائي لأستدعي الخادم وكان في نيتي أن أقدم إلى المدعوين قدحاً من الكورنيك الفاخر، ومع هذا فلم أول أصدقائي ظهري تماماً لأنني لم أشأ أن أحول نظري عن الماسة ولكن لنكد طالعي ضغطت على زر الكهربائية وللحال استولى على الغرفة ظلام دامس لم يستمر بضع ثوان أعدت في خلالها المجرى الكهربائي ولو قدر لي أن أعيش مئة سنة لم أنس اليأس الذي أخذ بخناتي عندما ألقيت نظري على المنضدة فوجدت الماسة قد اختفت.

وحين وصل دلمار إلى هذا الحد من حديثه أمر يده على جبهته وانقطع عن الكلام فقال نكارتر لو لم تأت إلي اليوم وتقص عليّ هذا الخبر لكنت أقول أن أحد أصدقائك سرق الحجر.

فقال دلمار هذا هو فكري بتمامه.

فأجاب نكارتر نعم ولكنك إذ لم تفتشهم حالاً صار الواجب علينا أن نسلم أن اختفاء الماسة سر غامض.

فسأل دلمار وكيف هذا إنني لا أفهم شيئاً.

فقال نكارتر إن المسألة واضحة كل الوضوح وهو أن رجلاً يجيد استعمال المسدس مثلك كان من الواجب عليه أن لا يدع شيئاً ثميناً كهذا يفقد من دون أن يطلق طلقاً أو ينسب بنت شفة بل كان يفتش حالاً في الموضع الذي وضع فيه الحجر فإن الحجارة الكريمة لا تسرق نفسها على ما أعلم.

فقال دلمار إنني أخبرتك أنني حزين لأنني لم أعمد إلى المسدس فقد أخرجته من جيبي ولكنني لم أطلق النار، على أن الماسة اختفت كما قلت بطريقة غامضة خفية للغاية فإنها لا تسرق نفسها كما قلت وبالتالي فلم أجد طريقة أوضح فيها هذا الإبهام.

— فأخبرني بالتفصيل والتدقيق عما أجرته عندما فقدت الماسة.

— إذن فاسمع أول ما وقعت الحماطي على ماتيو وكانت يده على شفثيه تترع السيكار الذي كان يدخنه دون انقطاع، وكانت مظاهر الدهش تعلوه فعزوت هذه المظاهر إلى ما ناله من سرعة فقد الماسة وكانت يده اليمنى على المنضدة.

وكان دونلسون يرسل إليّ لحظاً لم يسرني فاشتبهت به للحال ويعسر عليّ أن أصف هيئته وصفاً مدققاً ولكنني أذكر ما يلي، كانت عيناه موجّهتين إلى موضع الماسة تواءً وكانت يده اليسرى قابضة على المنشفة ومضطربة بفعل عصبي ويده اليمنى موضوعة على زجاجة خمر فارغة وكان جالساً على كرسيه في المؤخرة بعيداً جداً عن الطاولة، أما كراب الأعمى فكان على شفثيه كأس ماء وكانت عيناه متجهتين إلى القدح ونظرت رماد سيكارته تتساقط على المنشفة بينما كان يشرب الماء، وكل هذا أذكره تماماً، ثم وضع القدح على المنضدة وكان في بقية ماء اضطربت ثوابي قليلة ثم سكت.

— إن وصفك تام مدقق فلتنظر الآن في شأن دونلسون وقد قلت لي أنه كان بعيداً جداً عن المنضدة.

— نعم وكانت نظراته تشف عما في صدره.

— يظهر أنه اغتم فرصة الظلام فسرق الماسة أليس كذلك؟

كان ذلك كما تقول، وكان له هيئة تشبه هيئة الثعلب الذي سقط في فخ.

— وهل كان جالساً على مقعده بدون اهتمام عندما أظلمت الغرفة؟

— أظن ذلك.

ففكر البوليس لحظة ثم قال:

يمكنني أن أتصور الآن كيف جرت الحوادث فإن دونلسون نظر اختفاء الماسة.

— لا لا قال دلمار وكان يترأيد اضطرابه العصبي أنا لا أعتقد بهذا ولكنني أظن أن دونلسون هو السارق وهذا الشك يترأيد في خاطري فقال له نكارتير أملك روعك فإنك قد قصصت عليّ الأخبار بدقة وتفصيل نادر فلا تشوش حديثك بالاضطراب. فلنفكر بكل هذه الشئون ولنمعن النظر فيها بهدوء وسكينة.

فتضجر دلمار وقال سأبدل جهدي لاتباع نصيحتك فماذا تريد أن أخبرك الآن؟

— أريد أن تخبرني ماذا قال أصدقاؤك عندما ألقيت الشبهة عليّ أحدهم وماذا صنعوا ليعينوك على اكتشاف السارق؟

— فقال دلمار إنني نظرت إلى دونلسون فوجدت ألوانه متغيرة لأنه لحظ أنني آثمته بالسرقة.

فقال لي لا توجه إليّ هذه النظرات يا دلمار.

— إنني لا أحب هذا النوع من اللهو، قلت هذا بصوت أجش وألقيت عليه نظرات لا تسر.

ونظرت أيضاً إلى ماتيو ثم قلت:

فلنحاذر إلي ماسي إن المسألة خطيرة أكثر من أن تجعل موضوعاً للهو والمزاح فالذي أخذ الماسة عليه أن بعيداً حالاً إلى موضعها وفي هذه اللحظة دخل كراب في المحادثة وقال والدهشة بادية علي وجهه ما هذا وماذا جرى؟

فأوضحت له بكلمات قليلة أن ماسي فقدت في اللحظات القليلة التي استحوذ فيها الظلام على الغرفة وأن أحد أصدقائي قد سلبها وكان هذا الرجل لم يعلم إلى تلك

الساعة شيئاً من القضية حتى أنه ربما لم يشعر بانطفاء النور فكان من الواجب عليّ أن أوضح الأمر وعندئذ أخذ الثلاثة يتكلمون سوية.

فقال كل من دونلسون وماتيو إنني لم آخذها يا دلمار بينما كان كراب يقول إن هذا النوع من المزاح مسيء جداً وأنه شعر بما أحاق بي من الكدر الشديد.

ويمكنكم أن تصوروا ما ألم بقلبي من الأشجان، فلم يكن من الممكن أن تتصاعد الماسة في دخان السيكرات، كنا أربعة في الغرفة وإذا لا يحتمل أن أسرق نفسي كان من الضروري أن يكون السارق أحد الثلاثة، إن فقدان الماسة أثر بي تأثيراً شديداً ولكن شعوري بأن هذا العمل المعيب صدر من أحد أصدقائي كان أشد إيلاماً لي.

ولما لم أستفد شيئاً من ذلك فهضت ووضعت يدي على طرف المنضدة وقلت لأصحابي اصغروا إليّ واسمعوا جيداً إنني أفادي بكل شيء في سبيل استبقاء أصدقائي القدماء ولكنني مضطر أن أوضح لكم أنه إذا لم تعد الماسة في عشر ثوان إلى موضعها من المنضدة فإني عندئذ أعتبركم أعداء لي وأعاملكم معاملة الأعداء. فلم يتحرك أحد منهم.

عشر ثوان لا تحسب شيئاً أليس كذلك يا مسيو كارتر ولكنني استطلتها كالدهر وحبست نفسي حتى انقضت المهلة العينة وكنت قد وضعت ساعتي أمامي ولاحظت عقربها وأنا أرتعش بنوبة من الحمى.

فقال ماتيو أنا لا أدخل في دائرة هذا الوعيد، ثم رمى لفاقته ووضع يديه على صدره وقال إن هذا العمل الذي جرى هو مكدر للغاية ولكنني أؤمل أنك لا تعتقد أنني قادر أن . . .

فصرخ دونلسون وأنا أيضاً بريء كل البراءة.

وفي هذه الحالة بدأت بالكلام فقط اعني كراب الذي أثر بي اضطرابه وارتعاشه وقال:
 إنني لست صديقاً قديماً للدلمار فإذا كان فقد ماسته كما يدعي فالأولى أن تقع التهمة
 عليّ فقال ماتيو إذن يكون مجنوناً فكيف يمكنك أيها المسكين أن تسرق شيئاً وأنت
 على ما أنت عليه من العاهات والضعف.

فقال الأعمى بلطف من المؤكد أنني لم أسرق الحجر الكريم ولكن دعوني مع هذا
 أتكلم أنا عارف أن الشبهات يجب أن تقع عليّ بالأكثر، كما كنت أفعل لو كنت
 موضع دلمار ولهذا فأنا أرجوه أن يفتشني.

ثم نهض واقتراب مني وهو يتلمس طرف المنضدة في مسيره.

وكنت أراقب الاثنيين الآخرين فلما وجدت أنهما لم يتأثرا تلاشت صداقتي لهما ومرت
 كحلم وزاد في نفسي الريب فقلت لهما: أنا أعقل من أن أشك في هذا الأعمى أو
 يخيل لي أنه السارق ولكنني إذ رأيتكما لم تتأثروا ولم تتحركا فأنا عازم أن أتبع مقالته
 بالحرف.

فارتجف دونلسون وظهر الغضب على وجهه وصرخ هل تريد أن تشك بي؟
 فقلت له بلهجة الأمر اجلس في محلك وللحال سحت مسدسي ووجهته إليه وأنت
 تعلم يا ميو كارتر أنني بالسلس ذاته قد هزمت لصوح كلكتا ولم أنس طريقة
 استعماله بعد ثم ناديت دونلسون إياك والحراك وإلا فأنت هالك لا محالة فسقط على
 كرسيه وتناول لفاقة شعلها ولم يقل شيئاً ثم عرفت بعد ذلك أنه لم يكن ناقل سلاحاً
 نارياً وكان ماتيو أعزل أيضاً ولكن كراب كان مسلحاً.

فصاح نكارتر آه وأي سلاح كان مع الأعمى إن هذا لغريب.

— مسدساً من أشهر المعامل.

فظهرت على محيا البوليس أمارات البغته.

— هذا غريب أليس كذلك وقد فكرت ملياً في معنى وجود المسدس في جيب هذا الأعمى فقال لي وهو يتسهم أنه يصحب السلاح ليدافع عن نفسه إذا تعرض له أحد وأنه كثيراً ما يهزم عدوه بإطلاق النار في الهواء، ثم وضع مسدسه على المنضدة وطلب مني أن أفتش جيوبه كلها فأتممت ما طلبه بعد أن وضعت مسدسي على مقربة مني لسهل عليّ اسعمانه إذا هم أحد الاثنين بنأمة ولكننا لم نصل إلى هذا الحد.

ولما لم أجد ماستي في جيوب الأعمى أعدت إليه بعض ثيابه التي كنت أخذتها ثم عاد إلى موضعه وهو يستعين بالارتكاء على طرف المنضدة والفتت إلى دونيلسون وقلت له قد جاءت نوبتك فانفض وهو مصفر كاليت، حتى خيل لي أنه لم يبق نقطة دم في عروقه وصرخ إن هذا لا يليق بي إنني لم آخذ ماستك وأنا لا أسمح لك أن تفتشي.

فم أجهه ولكني رفعت مسدسي نحوه فتناول زجاجة فارغة من المائدة وأراد أن يرميني بها، وكنت أسرع منه فأطلقت النار، فأصابت رصاصتي عنق الزجاجة ومرت بين أصابعه وهو الرمي الذي وجهت إليه الكرة فانكسرت الزجاجة وسقطت كسرهما على المنضدة وقد أتممت بهذا الحطة التي رسمتها لنفسي فإنني كنت أبغي أن أبين له أنني قادر على قتله فاستمر دونيلسون واقفاً عاجزاً أن يتزل ذراعيه وظل قابضاً على عنق الزجاجة بأصابعه المشنجة لأن ضربتي كانت قد أرعبته وكان ماتي قد نفض في هذه الأثناء فصحت به مكانك فليث صاعراً وعاد إلى مجلسه أما كراب فكان يدخن وهو رابط الجأش ساكن كأنه لم يسمع شيئاً ثم قلت لدونيلسون يجب عليك أن تدعني للفتيش، وأنصحك إذا كنت حريصاً على حياتك أن تزغ ثيابك دون تدمير ولا ممانعة فقد فرغ صبري وضاق صدري.

وفي هذه اللحظة قرع الباب ففتحت وإذا بخادم الفندق جاء على صوت إطلاق الرصاص فقلت لن أن مسدسي انطلق عرضاً ولم يجب أدنى ضرر فعاد من حيث أتى

وأغلق الباب، فقلت لدينلسون بلهجة التهديد أما إذا انطلق عرضاً مرة ثانية فميردي رجلاً منكم.

وكان من شأن النظرات التي أرسلتها إلى دنلسون أن أقنعته بعزمي فأطاع الأمر وبدأ بخلع ثيابه، وبالاختصار فإنني جردته من ثيابه ولمست مجاسده بيدي وفتشت جيوبه بدقة ولكنني كدت أجن لما لم أجد شيئاً، وكان دينلسون يخشى أن تأخذني الحدة فتطلق من يدي رصاصة تكون القاضية عليه.

يقولون في الكل إن النتائج الجيدة تحصل في المرة الثالثة ولهذا أوعزت إلى ماتيو أن جاء دورك فجرد ثيابك.

وكان يشبه دونلسون بشدة تأثيره ولكنه لم يجد مفراً من ذلك فتقدم إلى وسط الغرفة وبدأ بترع ثيابه.

فوجدت جيوبه أخلى من جيوب دونلسون وعندئذ أخذني دوار شديد شعرت معه أن كل ما في الغرفة يتحرك ويضطرب واستلقيت على المقعد وقد خارت قواي ولحسن الحظ لم يشعر أصدقائي بما آلت إليه حالتي من الضعف والوهن، وقبل أن يبدأ دونلسون بالكلام كنت شفيت من هذا الدوار.

فقال لي دونيلسون بصوت أبح ضح حداً لهذه الوقاحة، ها هنا مدعو لم تهنه بعد لأنك لم تبلغ درجة من القحة تأمره فيها بترع ثيابه.

وعندما أتم دونلسون جملة فمض كراب وكان حتى الساعة جالساً على كرسيه بسكينة تامة يدخن سيكارتته فيصاعد منها الدخان كما يتصاعد من مدخنة المعمل.

فوضع لفاقته. . . واني لا أزال أذكر كيف كان يمر يده على المنضدة ليجد المنفضة ولم يد عليه أقل انزعاج ثم قال بصوت منخفض أنا عالم ماذا يراد مني ولحسن الحظ أن ذلك سهل جداً عليّ لأنني أعمى.

وحين قال هذه الكلمات بدأ برع ثيابه فألني هذا المنظر وأخذتني الشفقة على ذلك المسكين وكنت مزمماً أن أمنعه من ذلك ولكن أمارات الاستهزاء التي بدت على وجه دونيلسون وماتيو وافتكاري بالسرقة هيجا غضبي فعلى الدم في عروقي وعوضاً أن أمانع كراب أوغزت إليه بالإسراع.

وفي بضع دقائق كنت قد فتشت جميع أثوابه، ولكن جميع التقيب الذي أجرته لم يجدي شيئاً وظلت الماسة مفقودة ويصعب عليّ أن أقول أنني كنت آمل أن أجدها مع كراب ولكنني اتخذت الثالثة.

وفي هذه المرة سمعت صوت دونيلسون وهو يقول بلهجة كئيب:

والآن فإنك قد اكتفيت من إهانتنا ففتش تحت المنضدة عماك ترى شيئاً.

ولم يكن هذا الفكر قد خطر لي قبلاً، فشعرت بحمرة الخجل تعلو جبهتي وأومض لي في ظلمات اليأس برق من الرجاء.

وحين أرجعت المنضدة قليلاً كي لا تعيقني في عملي وانحيت على البساط محدقاً فيه كنت أفكر بأي طريقة أعتذر لأصدقائي إذ كان من المحتمل أن أكون أنا ذاتي قلبت الماسة على الأرض حين التفت لأضغط الزر، ولكن يا للأسف فباني لم أكد أرسل نظرة إلى ذاك البساط حتى تلاشى آخر رجاء ولم أبق للماسة على أثر.

وعندها استفزني غضب شديد فاندفعت بحدة شديدة أبحث في جيوب هؤلاء الرجال الذين اعتبرتهم أصدقائي ودعوتهم ليقاسموني المسرة والصفاء، فذهب كل ما بذلت من الجهد أدراج الرياح ولم أظفر بضالتي.

وهكذا فإن ماستي الثمينة، الماسة التي كنت أنتخر بها فقدت ولست أدري ماذا جرى بها وحين بلغ هذا الحد من خطابه سكت قليلاً وأخذ يمسح العرق البارد المتصبب على جبهته ثم سقط على مقعده ذاهلاً وكان قد وقف حين استفزته الحدة أثناء الحديث.

— فقال نكارتر: إنما لقصة عجية وأنا أود أن أعلم كيف تنتهي فأشار دلمار برأسه وبعد أن تنهد تنهداً عميقاً عاد إلى حديثه فقال: ولما وجدت أن بحثي ذاهب سدى استلقيت على مقعدي خلف المنضدة وأذنت لهم بلبس ثيابهم.

ولما أبصرت النظرات المخيفة التي كان يرشقني بها كل من دونلسون وماتيو احتطت لنفسي فجلست وراء المنضدة والمسدس في يدي اليمنى.

وكنت ألاحظ هؤلاء الرجال وهم يتشحون بأثوابهم، ولم يلفظوا كلمة واحدة لأنهم على ما أظن لم يجدوا كلاماً يعبر عما في أنفسهم من شدة الانفعال لإهانتي إياهم إذا كانوا حقيقة أبرياء.

وانتهى بي أعمال الروية إلى الافتكار أن واحداً منهما سلب الماسة بأسلوب خفي غامض ومهارة تامة حتى خفيت فعلته عن صديقه الآخر وعلى كل فقد وجدت من المناسب أن أسعى لإعادة الصلات الحية التي كانت تضمنا حتى تلك الساعة فقلت لهم:

يا أصدقائي الأعزاء إن الحادثة التي جرت قد أدمت قلبي ولو علمتم عظم الخسارة التي حلت بي لصفحتم لي عن المعاملة القاسية التي حزنتم لأجلها و . . .

فصرخ دونلسون بغضب خفف عن نفسك مؤونة الاعتذار فلو جنوت أمامي مئة سنة لم يكف ذلك نحو الإهانة التي ألحقتها بي، كل علاقة بيننا قد توترت منذ الآن وانقلب الحب بغضاً فإذا صادفتني في الشارع ومسدسي في جيبي فخذ الحذر.

فالتفت عندئذ إلى ماتيو وكان لونه مخيراً ولكنه كان هادئاً فقال لي أما أنا فلا أتهدد.

لم يقل غير ذلك ولكنني فهمت فكره تماماً وعرفت أنه حقوق لا يصفح لي عن الإهانة وأنه أصبح عدواً هائلاً يخيفني أكثر من دنلسون فما زلت منذ تلك الساعة أحاذر أن أوجد في طريقه.

أما الأعمى المسكين الذي لم أعرفه قبلاً فكنت لا أعلم بأي عبارة أعذر إليه فجلست على المقعد ولم أهم بحركة حتى أكمل الثلاثة لباسهم وهموا بالخروج فقال دونلسون وصوته يتهدج من الغضب: أتأذن لي الآن بالانصراف؟

أما ماتيو فلم يقل شيئاً بل كان ينتظر كراب الذي تأخر في الاكتساء لضعفه كي يقوده إلى خارج الغرفة، ولما استعد تقدم إليّ ببطء وبخطوات متقلقلة فأراد ماتيو أن يقوده خارجاً ولكنه دفع الذراع التي مدها إليه صديقه وقال له:

انتظري دقيقة أيضاً يا فرانك

ثم خاطبني قائلاً:

إن هذه الحادثة قد أزعجتنا جميعاً ولكني لا أحقد عليك لأنني أقدر أن أتأمل حالة نفسك فأنا معتم غير أنني أرجوك أن لا تظن بي سوءاً. وهذه الكلمات التي لفظها ذلك المسكين أذابتني خجلاً لأنني لم أكن مستحقاً هذا اللطف بعد أن عاملته بمحشونة كما عامله رفيقه فأجبت:

تأكد يا مسيو كراب أنني كنت راغباً أن لا أفتشك لولا إصرار دونلسون. فقال الأعمى لا شك عندي بذلك ومهما يكن من الأمر فإني لا أطوي لك ضغينة في صدري.

ثم مددنا يدينا وتصافحنا مصافحة الإخاء وبعد أن حيينته وأجاب تحتي قال: لي إليك كلمة أيضاً وبعدها أذهب: إن الحادثة التي جرت في هذه الليلة قد ضيقت صدري فأدركني بقدرح من الماء فلم أستغرب هذا الطلب لأن حلقي كان يلهب من الظمأ فقلت له إن آنية الماء قد انكسرت فهل لك في قدح خمر أو غيره من المشروبات.

فقال شكراً لك لا حاجة لي بذلك، ولكك تجد بقية ماء في قدحي.

فأخذت القدرح وناولته إياه.

فشكرني وهو يأخذ القدرح وبعد أن شرب السؤر وضعه على المائدة وتأبط ذراع ماتيو وخرجا سوية من الفندق وكان ينوي أن يكلمني فوقف الكلام على شفثيه.

ثم سقطت على مقعدي خائر القوى وأحاطت بي ظلمات متراكبة من اليأس.

وإن الفكر الذي كان يدور في خلدي من أن السارق أحد هؤلاء الثلاثة لم يبارحني لحظة، وكانت شيهاتي تقع على دونلسون ومع هذا فلم أر أبدأ من التسليم أنه من المحتمل أن يكون الثلاثة شركاء في السرقة قد اتفقوا من قبل أن يلعبوا بي هذه اللعبة المشؤومة فقلت إذا كان الأمر هكذا فإنهم لا يلبثون بعد خروجهم من الفندق أن ينشقروا أو يتنازعوا وللحال نهضت ومشيت على أطراف أصابعي دون أن أحدث أقل صوت ومشيت في الرواق فأدركت ماتيو وكراب في منتصف السلم وظلا صامتين لم يلفظا كلمة حتى بلغا الباب الخارجي، فعندئذ قال ماتيو لكراب:

هاهنا عربة وسأعينك على الصعود إليها وأعين للسائق المحل الذي تروم أن تبلغه، وأما أنا فلا أود أن أدخل البيت حالاً لأنني ما زلت متهيجاً جداً.

فأجاب الأعمى حسناً إنني أعرف ذلك ولكن إياك أن تأخذك الحدة والطيش بسبب هذه الحادثة أسمع يا فرانك؟

فلم يجبه ماتيو.

ثم نظرت كراب يصعد إلى العربة وصديقه يري السائق الجهة التي يجب أن ينحوها فسارت العجلة من الوجهة المعينة وسار ماتيو في الجهة المعارضة حيث كان دنلسون ينتظره على كعب.

وبقي الرجلان اللذان لم يريا في صامتين بضع دقائق وأحدهما بجانب الآخر ثم شرعا بالكلام معاً وكانت جملتهما واحدة تقريباً:

— هل أنت أخذت الماسة يا جورج؟ (سأل ماتيو)

— هل أنت أخذت الماسة يا ماتيو؟ (سأل جورج)

إن صدور السؤالين في وقت واحد وبتركيب واحد تقريباً لم يغير شيئاً من جد الرجلين، وكان دونلسون أقل صبراً من رفيق فأجاب قائلاً:
أؤكد لك أنني لم آخذ الماسة.

فقال ماتيو ولا أنا أيضاً، وليس في وسعنا أن نقول أن كراب هو السارق لأننا إذا فرضنا أنه همّ بذلك فإنه عاهته تمنعه ذلك.

فأجاب دونلسون: وأنا أسلم بذلك ولكن ما هي هذه اليد الخفية التي سرقت تلك الماسة الشيطانية؟

فقال ماتيو يظهر أن دلمار خولط في عقله فلا يبعد أن يكون وضع الماسة في جيبه وأظن أنه سيجدها بعد أن يملك روعه.

فصرخ دونلسون إنني أدفع مئة ريال عن طيب خاطر إذا صح افتراضك ووجد هذا العيس ماسته في جيبه.

فسأله ماتيو أيسرك ذلك ولماذا؟

فأجابه دونلسون أنت تعرف لماذا؟ قالها بلهجة قديده مخيفة حتى إنني ارتعشت رغم إرادتي.

ثم تم حديثه قائلاً: لأنني بعد أن حدث ما حدث الليلة أريد أن أعرف موضع الماسة حتى أحول ظنه إلى حقيقة.

فقال ماتيو هذا ما أقصده لأني إذا قدرت أن أغرمه جزاء العار الذي ألصقه بنا فأنا لا أتأخر عن ذلك، فاتبعني الآن يا جورج لنروي ظمأنا الشديد.

وعندئذ سار صديقاى القديمان وذراعهما ملتفان إحداهما على الأخرى.

وإنك ترى الآن يا مسيو كارتر أنني قصصت عليك الحادثة بتفصيلها ولم أسقط حرفاً واحداً، وبذلت الجهد حتى لا أدع شيئاً دون أن أقصه عليك ولم أهمل أمراً لم أنبتك به ولو كان طفيفاً في الظاهر لأنني أخشى أن يكون ذلك الأمر مفتاح السر. وهنا سكت دلمار كم أهى حديثه.

فسأله نيكارتر قد مر على هذه الحوادث أسبوع أليس كذلك؟
— نعم

— وأنا أظن أنك لم تفر عن السعي في خلال هذه المدة لاستجلاء الغامض.
— أنا. . كنت جنتت لو لم أدأب في السعي.
— إذن فقل لي ماذا صنعت؟

— إنني سأشرح لك ذلك بجزية تامة فقد تدرجت في الشوارع بحالة تشبه الجنون وقد ظهر لي أنه من الممكن أن أكون أنا نفسي قد وضعت الماسة في جيب من جيوبى فعدت مسرعاً إلى حيث تناولنا طعام العشاء، وابتدأت أفتش نفسي بدقة لا مزيد عليها فقلبت جيوبى جميعها ومزقت بطانة أثوابى وعريت من كل لبي حتى صرت في حالة جدينا الأولين، وإن خجلي من قص ذلك عليك لا يوازي خجلي من إخفاق مساعى، فقد اختفت الماسة ولم أقف لها على أثر.

ولم أكد أقم لبس ثيابى حتى قرع الباب ففتحته وإذا بخدام الفندق قادمين ليرتبوا الغرفة وبينما كانوا يدأبون في عملهم كنت أراقبهم بمزيد الانتباه وأقول من المحال أن لا يجدوا الماسة.

ولما أنجز الخدام عملهم ولم يجدوا شيئاً خرجت أتجول في الشوارع وظللت نحواً من ساعتين، وكان الوقت الساعة التاسعة ليلاً، ثم وقفت بغتة لأرى الجهة التي أسلك فيها وتطلعت فإذا أنا أمام مركز البوليس فهيمت بالدخول لأقص عليه الواقعة، وبعد أن

فكرت بهذا علمت أن لا رجاء لي بمساعدة البوليس العادي في هذه المسألة الغامضة، إذ ليس في يدي برهان يؤكد حدوث السرقة، إن الماسة فقدت دون شك ولكن بعد المبحث المدقق الذي أجرته لم أجد مجالاً لاثام ضيوفي.

فأتممت نزهتي منفرداً وكان يأسي يزداد من حين إلى آخر وكنت أعزّي نفسي بأن فقدان الماسة لم يجعلني مملقاً فما زالت ثروتي في كلكتا ولكن هذه التعزية كانت تزول حين كنت أفكر أنني خسرت بضائع الماسة لحوراً من نصف مليون دولار، ولا سيما عندما أفكر أن هذه الثروة الواسعة فقدت في بضع ثوان.

فسأله نيكارتر وهل أخبرك الجوهريون في كلكتا أنها تساوي هذا الثمن الفاحش؟
 — نصف مليون؟ هذا مؤكد وهو ليس بثمنها الفاحش بل المعتدل، وقد أخبروني أن الماسة إذا قطعت قطعاً لا يشوبه خطأ فإن ثمنها يرتقي إلى ثلاثة أضعاف هذه القيمة.
 — إذن فأنت تعتقد أن عين الشيطان تستحق العناء الذي ستصرفه في البحث عنها.
 — آه يا مسيو كارتر وهل تريد أن تتولى أمر البحث عنها؟

— على الأرجح. . . ولكنك لم تقل لي بعد ماذا فعلت ولعلك قد عثرت على أثر بذلك على مكنها.

— قد حزرت يا مسيو كارتر قد عثرت على أدلة عديدة ولكنك تعرف مبلغها من الصواب أكثر مني.

بعد أن أدت ظهري لمركز البوليس أتممت المسير فاجتزت المدينة وقبل الساعة الحادية عشرة وجدت نفسي أمام محطة السكة الحديدية وأبصرت عربة مقبلة تقل مسافراً.

ولما وصلت قفز السائق إلى الأرض وساعد الراكب على النزول ولم يكن هذا الراكب سوى كراب الرجل الأعشى.

فصرخ نيكارتر باللعجب.

فتبسم دلمار عندما سمع ذلك وقال:

ربما افكرت أنه أراد أن ينجو بالسرقة وأنا أعتقد أنه ربما كان هذا ممكناً وربما كان من الواجب عليّ أن أسعمل المسلس ولكن إصغ: إني رأيت السائق يأخذ خريطة كراب من العرية ثم أمسكه بذراعه وقاده إلى غرفة الانتظار، فكنت لهما ألزم من ظلهما.

ثم أخذه إلى حيث قطع جوازاً إلى بويلو وكنت خلفه فسمعتة يسأل المأمور عن ميعاد سفر القطار فأجابته سيقوم القطار الأول إلى بويلو بعد عشر دقائق. وفي هذه الأثناء كان السائق واقفاً وراء كراب ليقوده إلى القطار وعندما اجتازا غرفة الانتظار أعوزتني الكينة ولم أتمالك نفسي فعارضتهما في الطريق.

وقلت له وأنا أشعل من العيظ:

أسعدت صباحاً يا مسير كراب

فحدق بي الأعمى وأدار نحوي عينه وظهر عليه أنه عرف صوتي فقال وهو يتردد في القول:

يظهر لي أي أعرف صوتك، ألسن المسير دلمار، فهل خدعتي سمعي؟

فقلت له أنا هو.

— إذن فقل لي بالله هل وجدت أثراً لماستك تمديدك لمخباها؟

— فقلت لا وكنت أراقب ماذا يكون تأثير جوابي فيه.

— إن هذا مكدر جداً، إن هذه الضريبة هائلة.

— نعم ولكن ليس بوسعي إلا أن أتلقى مصيبي بالصبر، والآن فإني أراك على وشك

السفر.

نعم وآسفاذ فإنني وجدت في مترلي عند رجوعي إليه هذا النبأ البرقي الذي أجبرني أن أسافر مع القطار الأول.

ودفع إليّ النبأ حين طلبته منه وأنا أعترف لك أنني لم أتردد بل قرأته بمزيد السرعة وكان من بويلو وهذا نصه حرفياً:

أحتك على فراش الموت عجل بالحضور، الطيب. م. غوردون
فعزيزته بكل ما حضرني من عبارات التعزية.

فقال لي: منذ مدة كنت أتوقع ورود هذا النبأ، فوردني اليوم، وبما أنني راحل فأنا أشكر جميلك إذا أنبأني بالدلائل التي تبدو لك والآثار التي تهدي إليها وأنت تعرف السبب الذي يهيج هذه الرغبة في نفسي.
فأجبتته متعلماً نعم أعرفه جيداً.

ثم قال بعد أن أوارى أختي المسكينة في التراب أعود إلى هنا ولديك عنوان إقامتي فأرجوك أن تواصلني بما يجد معك في هذا الشأن.
فوعده أن أفيته بكل ما يحدث.

فاستمع حديثه قائلاً: إن إقامتي في بويلو ستكون في بيت أختي، فإذا اتضح لك كيف اختفت ماستك أو إذا وجدتها كما أتخى لك، فتكون لك علي يد بيضاء إذا أنبأني على لسان البرق لأتلك تعلم أنه ما زالت ستور الخفاء مسدولة على هذه العضلة تظل العلائق بيني وبين صديقي ماتيو متوترة وإن هذا ليحزني لأنني كنت وإياه دائماً صديقين حميمين.

فهمت أن أخبره بما قاله عنه ماتيو ودونيلسون بعد خروجهما من الفندق ولكنني آثرت الرصانة والسكوت واقتصرت على نسخ العنوان الذي أعطانيه كراب.

وبعد ذلك صافحني وقاده السائق إلى الرصيف حيث كان القطار مزمعاً أن يقف، وعدت إلى الفندق وفي أثناء عودتي عولت أن أراقب دونلسون وماتيو عبثاً كنت أحاول أن أطرد هذا الفكر عن خاطري وهو أن أحدهما كان السارق. وبينما أنا أسير صادفتهما في الطريق ولكنهما لم يصراني فتبعتهما على بضع خطوات وأنا أحذر كل ما من شأنه أن يبههما إلى وجودي.

وكانا آتيين من النادي دون شك ووجهاهما مقطبان لتبعتهما وما زالا سافرين حتى وصلا إلى المنزل الذي يقطه كراب وكان لماتيو غرفة هنالك أيضاً ففتح ماتيو الباب بمفتاح أخرجه من جيبه ودخل الرجلان. فلم يمكثا أكثر من خمس دقائق.

وكنت لحظت أن النور قد أضيء وأطفئ بسرعة في ثلاث من الغرف أو أربع فدل ذلك على أنهما كانا يفتشان عن ماتيو الذي لم يبلغهما بعد خبر سفرد الفجائي. فقال ماتيو وهما يتزلان إلى الشارع أن القطار قد نحا بويلو من ريع ساعة تقريباً. فأجابه دونلسون نعم إن هذا الفاجر قد بعد مسافة طويلة فقال ماتيو ولكن لحسن الحظ أن اللحاق به سهل.

وهذا كل ما قدرت أن أسمعه من المحادثة وكان من المؤكد عندي أنهما يتكلمان عن كراب ولكنني لم أعرف هل كانا ينظران ماسي وهما يتكلمان هذا ما أترك حله لك يا مسير كارتر.

ثم دخلا مسرعين إلى بيت آخر وقد فهمت بعد ذلك أنه مسكن كليبور شريك دونلسون فلم أحفل بهذا الأخير لأنني لم أعلم كيف يكون له دخل في سرقة الماسة. فقاطعه نيكارتر قائلاً: حسناً حسناً إنك أنت لا تعرف كليبور ولكننا نحن نعرفه فهو منهم بالتحريض والإغراء على كثير من حوادث القتل والسرقة وهو الآن في السجن

ينتظر جزاءه وأن علاقته مع صديقك دونيلسون كانت تدلني على أن في حياة هذا الأخير أموراً خفية غامضة ولكن أرجوك أن تتم حديثك الآن.

فاستأنف دلمار الكلام وقال إنني انتظرت ساعة قرب بيت كليبور خرج بعدها الاثنان ولكنهما انفصلا في أول عطفة من الشارع فتبع دونيلسون الذي عاد إلى منزله، أما ماتيو فلا أعلم أين انتهى به السير ولم أنظره بعد ذلك ولكنني أرجح أنه ذهب في اليوم التالي إلى بويلو ليلقي كراب هناك.

أما دونيلسون فقد أقام عامة اليوم التالي في مكتب المحل الذي يديره هو وشريكه كليبور وفي اليوم التالي نظرت صدفة أن دونيلسون أخذ رسالة برفية وبعد أن قرأها ظهرت على وجهه علامت الاهتمام والتأمل ولم أقدر أن أعرف مصدر الرسالة ولا محتواها ولكنني أعرف أنني لم أر دونيلسون في اليوم التالي ولما ذهبت في اليوم الثالث أطلبه في محله أخبروني أنه سافر إلى بويلو، وبالطبع ركبت أنا أيضاً القطار الأول وبعته.

فقال نيكارتر إنه لفكر في غاية السداد فماذا اكتشفت هناك؟

— لا شيء في لا شيء أجاب دلمار إنني رمت أن أذهب إلى المحل الذي أعطاني كراب ثمرته ولكنني فهمت أنه لا يوجد بيت في المدينة بهذا العنوان، وكان الشارع موجوداً فقط ولكن النمرة التي معي كانت عنوان أرض ما زالت خالية من البناء ولم يكن هناك بيت إلى بعد مئة خطوة من جميع الجهات.

فقلت لعلني أخطأت في نسخ النمرة فسألته عن أخته التي كانت على فراش الموت فلم أسمع أحد يتكلم عن امرأة ماتت أو أشرفت على الموت فسألته عن الطبيب ا. م. كوردون فلم يكن حظ هذا من الوجود أكثر من حظ الأخت الموهومة.

فلم يبق لي إلا أن أسأل عنه فسألت مأموري المحطة هل شاهدوا رجلاً أعشى نزل في الليل من القطار قادماً من نيويورك ووصفت لهم ملامحه.

فلم يذكر أحد في المحطة أنه شاهد رجلاً أعشى بهذه الملامح وبالاختصار فإنني قد أضعت يومين في بويلو وأنا أفتش دون طائل.

فعممت على أن أقصد مركز البوليس وأشرح له خبر السرقة وكل ما يتعلق بها، وحين قرأت في الجرائد أعمدة بأسرها ملؤها إطلاؤك والثناء عليك ووصف العمل العظيم الذي قمت به قبل الليلة السابقة وعلمت أنك حضرت إلى هنا عاد لي بعض الرجاء وأتيت إليك لأعرض عليك القصة بجميع تفاصيلها.

فقال البوليس للدلالة إنني أقدم لك تحياتي وتهنئتي لأنني قلما نظرت رجلاً قادراً مثلك على الإحاطة بأطراف الموضوع واستقصاء شوارده وإيضاح دقائقه ووصف ذلك بطريقة سهلة واضحة، وسنقفي بعد الآن أثر عين الشيطان وإذا ساعدنا الحظ فإننا نرجو أن فتدي إليها.

— إنني أقدم لك شواعر الشكر التي تخلج في صميم الفؤاد، وأرجوك أن تخبرني هل عرمت على السفر إلى بويلو؟
— على الأرجح.

— وهل تريد أن أرافقك؟

— لا ولكن اترك لي عنوانك وإذا اضطررت إلى الانتقال فأبلغني ذلك، حتى تصلك جميع الرسائل والأنباء البرقية التي يمكن أن أرسلها إليك، ولا أطلب منك غير هذا سوى أن تتق بي.

وتم تحادث الثلاثة سوية بشأن الأمور المادية التي يقتضيها البحث والتنقيب، وبعد ذلك استأذن المالك الشرعي للماسة من البوليس الشهر ومعاونه وانصرف.

وبعد أن خرج دلمار التفت كارتر إلى معاونه الشاب الايرلندي وقال له:

— ما رأيك في هذه القضية يا باتسي؟

يظهر لي أنها أقرب إلى الخيال منها إلى الحقيقة فهل صدقتها يا أستاذي؟

— صدقتها كما أصدق بالحياة الأبدية التي لا أشك فيها لحظة.

— إذا فرضنا هذا فكيف أمكن الثلاثة أن يخفوا الماسة؟

فضحك كارتر طويلاً ثم قال:

يظهر لي أنك تظنهم شركاء في الجريمة قد تعاقدوا عليها سابقاً.

— إذن فماذا تريد أن أعتقد في شأن هذه الماسة التي اختفت وغابت آثارها.

اسمع يا باتسي أريد أن أحدثك بشأنها ولكنني لا أتكلم عن لصوص.

— عمن تتكلم أعني لص واحد؟

— نعم فأنا أعتقد أن كراب هو السارق الوحيد.

— أيمكن هذا؟ أيمكن هذا الأعمى أن يسلب الماسة وأمامه ثلاثة رجال يصرون؟

فقال نكارتر إن كراب هو الذي أخذ الماسة قال هذا وهو يتظاهر بأنه لم يسمع

اعتراض المعاون ومع هذا فأظن أنه لم يفكر أن سرقته بإمكانه لما قبل الدعوة ولا

أصدق باتفاق سابق وأؤكد لك أن دونيلمون وماتيو برينان من وصمة السرقة وهما

يعتقدان كما أعتقد أن كراب هو السارق، وقد هاجهما ما صادفاه من الإهانة فعزما

على اتباع كراب وإجباره على رد المسروق أو أن يقاسمهما على الأقل ولما علما

بسفره إلى بويلو عرفا أنه قد خدعهما فاتنع باتسي بتأكيدات أستاذه وقال حسناً

يمكننا الآن أن نستنتج النتائج من هذه المقدمة وقد فهمت الآن معنى المخادثة التي

دارت بين الرجلين أمام الفندق.

— وجلي أن سفر كراب إلى بويلو هو اعتراف ضمني بذنبه.

ولهذا تبعه ماتيو إلى بويلو حيث علم أن السبب الذي انتحله الأعمى للسفر كان مختلفاً وهذا الذي عرفه دلمار بعد بضعة أيام.

— من الراجح أن يكون ماتيو مرسل النبا الذي اهتم له دونيلسون كثيراً، فسافر لينضم إلى رفيقه في اللحاق بالأعمى.

— أحنت يا باتسي هذا ما حدث برمته.

— ولكن كيف قدر هذا الشيطان كراب أن يسرق الماسة على هذا الشكل الخفي

الغامض حتى لم يقدر دلمار أن يجدها في ثيابه حين فتشها؟

وبعد أن توقف لحظة عن الكلام ضرب يده على جبهته ثم قال:

يخيل لي أن هذا الخبيث المختال ليس أعمى.

— وحسناً وأي فرق في ذلك؟

فقال باتسي لا فرق وضاع سرورده باكتشافه حقاً أن الحالين سيان فهل تظن أنه أعمى

يا أستاذ؟

ثم ساد سكون قطعته فههقه باتسي الذي قال وهو يضحك:

— آه، آه، إن تفتيشاً كالذي أجراه دلمار لا يتفق حدوثه دائماً، ثلاثة رجال عارين

كجدهم آدم قبل أن يخطئ حقاً إنه منظر مضحك.

فأجابه نكارتر ضاحكاً:

لا أظن المشابهة تامة إذ ينقص الأخيرة قليل من الصحة.

فعاد باتسي بعدها إلى الجد وقال:

أنا أرى يا أستاذ أنك فكرت لتبلغ نتيجة فبأي أسلوب تظن كراب سرق الماسة وتمكن

من إخفائها.

ولكنه اندهل عندما وجد أن كارتير اقتصر على الضحك وهو يرفع كفيه ثم خاطبه قائلاً: يا عزيزي باتسي لم أعلم عن ذلك شيئاً.

— أفهذا ممكن؟

— نعم ممكن للغاية، فقد أرى في الأمر سراً لم أقدر على فهمه حتى الساعة وأنا أحتاج في حله إلى تأمل طويل سأبشره أثناء سفري ولذلك أرجوك أن تستفهم لي عن مواعيد سفر القطر.

فترن باتسي مسرعاً إلى مكتب الفندق وهناك تقويم لهذه الشؤون فأمعن فيه البوليسان هنيهة وبعدهما اختار نكارتر القطار الذي سيقله قال لمعاونه:

أرى أن واحداً منا يكفي لمطاردة هذا الأعمى أما أنت فأقم هنا في دنفر وأخبرني إذا عاد أحد الرجلين واعلم أنه يحتمل أن يحدث هذا بأسرع مما نفكر فتتقظ.

فقال باتسي كن أميناً من هذه الوجهة.

ولم يكن يعذر على رجل ماهر كنكارتر أن يقفو أثر أعمى ففهم وهو في الطريق أن كراب قبل أن يصل إلى بويلو طلب من السائق جوازاً عاماً.

فمع اكتفاء البوليس بهذا التصريح توصل إلى علم ما يأتي وهو أنه في يومين مختلفين من الأسبوع الماضي كان في القطار مسافران القيا إلى المفتش هذا السؤال بعينه فتحقق عند ذلك أن ماتيو ودونيلسون قد اجتمعا في بويلو ومن هناك سارا للبحث عن الأعمى.

وبعد برهة اكتشف على آثار الأعمى وكان صوتاً داخلياً يناجيه أن كراب هو السارق الوحيد، وعرف أنه اشترى نعالاً محددة واكترى جواداً من قرية صغيرة من قرى مقاطعة الأريزونا الشمالية، وسافر من هناك مصحوباً بدليل توصل البوليس إلى معرفته وطلب منه إيضاحاً وبسط ما يعرفه عن المسافر الذي كان يصحبه.

فقال الدليل:

لم أرافقه مدة طويلة إذ أنه قال لي بعد خمسة أيام من بدء السفر يمكنك أن تعود الآن فترددت في الرجوع وتركته منفرداً لأننا كنا عندئذ في أوحش قسم ثم الأريزونا ولكنه أصر عليّ فتركته وعدت.

ففكر نكارتر ملياً في ما قاله الدليل ولم يفهم كيف أن رجلاً أعشى ضعيف القوة يود أن ينفرد في تلك البقعة الكثيرة الأخطار، فسأل الدليل:

— هل تعتقد أن الرجل كان أعشى حقيقة؟

فقال الدليل: كل الاعتقاد ودعم حديثه بسرد بعض الحوادث التي جرت على الطريق والتي تزيد قوله.

ثم استمع البوليس السير في طريقه.

ولم يكن الذي يلقاه على الطريق قادراً أن يعرف هذا الرجل ذو الشهرة الواسعة في العالم والذي يختلف إلى الأنديّة العليا في نيويورك وله المترلة الرفيعة بين الاريسوقراطيين لأن كارتير تزيا بزوي سكان الغابات فاتخذ هيئة متوحش يؤثر اسعمال السلاح وخشونة العيش على رفاهية الحضارة.

وكان جواده كريماً فأعمل في خاصرته المهماز ليلع ذلك الخل الذي يكاد يكون في آخر الدنيا حيث فارق الدليل كراب.

وبينما كان يجد السير صادف فارساً مقبلاً عليه من الجهة المقابلة ناداه وهو يوقف مطيه قائلاً:

أيها الغريب.

فأوقف كارتير جواده وقال له:

ماذا؟

— أعندك تبغ؟

— مؤكد، عندي قطع كبيرة.

وكان نكارتر يعلم أن رجل الغابات يجب أن تكون معه مؤونة من التبغ فحمل معه كمية منه مع أنه لم يكن يستعمله.

ثم أخذ علبة من جيبه وقال للرجل هو ذا التبغ فخذ حاجتك.

فقال الرجل أشكرك ومد يده وحاول أن يمضغ قطعة منه.

فقال له نكارتر اقطعها إلى قسمين لأنك لا تزال بعيداً جداً عن العمران وعلى ما أظن أن التبغ لا ينمو على الأشجار كما قيل لي منذ هنيهة.

— أنت محق، فإن طالما وجدت في هذه البقعة التي هجرها الله والناس وكان قد أخذ

نصف قطعة التبغ ورد بقيتها إلى نكارتر.

فسأله البوليس: إذن أنت تعرف المقاطعة.

— نعم تقريباً ألا تعرفها أنت؟

— لا هذه هي المرة الأولى من مجيئي إليها.

— في طلب الذهب؟

— ليس تماماً فإنني ألاحق رجلاً أعمى.

— ماذا؟ إن هذا لغريب جداً.

— إن قدوم أعمى ليختبئ في هذه المواضع الموحشة هو غريب جداً ولكنه حدث.

— ليس هذا الذي أريد أن أقوله ولكنني أفكر بشخصين استأجرايني لخدمتهما كدليل

وطباخ وهم أيضاً مثلك يفتشون عن أعمى.

— يا للشيطان، هذا ما نسميه صدفة قال ذلك نكارتر وهو يلفظ سلسلة من الأقسام

تليق بسكان الغاب ثم سأل الرجل وما هي المسافة بيني وبينهما؟

- أظنهم أصدقاءك.
- تقريباً فإفهم من معارفى.
- حناً فأنتم الثلاثة فى هذه الحالة تطاردون شخصاً واحداً وهذا كل شىء.
- أصبت أىها الشجاع، وعلينا أن نتابع هذا الأعمى حتى نظفر به ولو اضطررنا الأمر أن نذهب إلى نهاية العالم.
- لتخرجوا منه الماسة أليس كذلك؟
- بسم ال. . . وكيف عرفت ذلك؟
- أخبرنى به صديقك.
- حناً إن هذه الماسة لا تخص الأعمى.
- فأغمض الرجل عينه وبدأ يفهقه وقد بدت على وجهه أمارات المكر ثم قال: أصدق قولك إن الماسة لا تخص الأعمى، فإذاً هى ملك الذى يظفر بها، ولكن هذا لا يهمنى فحاول أن تجتمع بأصدقائك.
- يدهشنى وقوفك على هذا السر.
- لا غرابة فى ذلك فالمسافرون أياماً عديدة فى القفار تنشأ بينهم روابط شديدة، وقد كانا يتكلمان بادئ الأمر سراً فكنت أصغى إلى حديثهما ثم أخذت بسؤالهما ولما وجداني وقفت على شىء من القصة شرحاها لى وأخبرانى منها بما كنت لم أعلم بعد.
- قصا عليك كيف سرق الأعمى ماسهما أليس كذلك؟
- نعم أو بالأحرى ماسة أحد أصدقائهما.
- فحجب كارتى من ثرثرهما وقال للرجل إن أذنك لم تحدعاك.
- آه آه، أنت هو الصديق صاحب الماسة.
- هذا ممكن فأنا لا أنفبه.

— حسناً فاسمع إذن إن كنت لا تريد أن تصادف رصاصة تورددك حتفك فالأولى بك أن لا تحاول الاجتماع بصديقك، لأن مصاحبتها خطيرة وقد شعرت بذلك ولهذا فارقتهما هذه الليلة.

— يظهر لي أنهما أخبراك بكل شيء وأنا أرجوك أن تخبرني عن واسطة أتجنب فيها ملاقاتة هذه الرصاصة وأن تخبرني عن الطريق الذي ملكاه.

فرفع الرجل كفيه وقال إن فكر ملاحظتهما هو فكر جنوني، ولست أعلم ماذا تفعل إذا وجدت أمام اثنين هذا إذا لم نعد الأعمى، إنني تركت صديقك أول البارح فإذا أسرع في السير نحو الشرق تصل إلى مخاضة نزل فيها صديقك وركبا النهر وسافرا.

— أشكرك على هذه التعليمات.

ثم حرك كارتير جواده ولما رآه الرجل سأله هل أنت مصمم على التقدم؟

— بلا ريب.

— حسناً فهل يلزم أن أعلن خبر موتك؟

— لا تتعجل أستودعك الله.

— سر بالسلامة أيها الغريب وأشكرك على تبغك، لاحظ أنك واحد ضد اثنين ما عدا الأعمى ولكنني أشتهي لك الفوز من قلبي.

فأرخصي نكارتير لجواده العنان وبعد أن قطع ربع ميل التفت وهو على سرجه ونظر الرجل الذي كان يراقبه وهو ثابت في محله فقال البوليس في نفسه إن هذا الرجل ليس أبله كما أظهر لي وقلبي يحدثني أنه سيكون لي وله شأن قبل ختام القصة، آه الله ما أشد همق ماتيو ودونلسون اللذان يكشفان أسرارهما لكل سائل، واستمر البوليس في سيره حتى أحلوا لك الليل فاستراح قليلاً ثم ركب جواده وعاد للسير حتى وصل إلى ضاحية كولورادو التي أهداه إليها الرجل ثم ربط جواده في جذع شجرة ثم أوقد قليلاً من

الخطب وأعد لنفسه عشاءً من المذن التي اشتراها ثم التحف بغطائه ونام على الأرض ليريح نفسه بضع ساعات من عناء النهار.

وفي الثلاثة الأيام الأخيرة من إقامته هناك نظر عن بعد ثلاثة بيوت في ذلك القفر ولم يعلم البعد بينها وبين أقرب عمران وعلم أن المخبأ الذي يختاره الأعمى ليكون فيه لا يتسنى لصحبي النظر أن يقيموا فيه، ثم قال لماذا لم يسافر كراب إلى مدن الشرق الكبيرة حيث يصادف فرصة أوفق لبيع الماسة، وردد هذا السؤال في خاطره دون أن يهتدي إلى حل مرضي وأخيراً أغمض عينه وتاه حتى انفجر نوماً عميقاً هادئاً وعندما استيقظ تناول قليلاً من الطعام ثم علا ظهر جواده وسار فعرف بفراسته أن فرساناً آخرين قد تقدموه متهين في نفس الطريق، فسر بهذا وعلم أيضاً أن الفارس أهده إلى الصراط المستقيم وكان كلما تقدم يزداد منظر البلاد وحشة وانفراداً، وكان النهر يجري بسرعة شديدة بين مضائق صخرية ثم تصب مياهه المزلدة في مصب بعيد الغور فيجمع لها ضجة شديدة.

وبعد الظهر بقليل وصل كارتير إلى سفح رابية صخرية فهم أن يتسلقها وهو راكب وقد ظهرت له آثار على الأرض عرفته أن فرساناً آخرين مروا من هنالك حديثاً، وكانت قمة الرابية جرداء تطل على ما جاورها إلى أمد بعيد فوقف كارتير فجأة لأنه نظر على بعد ثلاثة أميال تقريباً خطأً ربيعاً من الدخان يتصاعد إلى الأفق فقال لعل هنالك مفتشاً عن الذهب أو لعل الطريدة التي ألحقها قد عادت، وكان كل ما حوله يظهر له واضحاً فأبصر نقطاً متحركة تشبه النمل السائر فظنها هنوداً ولكن هذا لم يكن راجحاً لأن البوليس منذ دخوله إلى تلك البلاد المتوحشة لم يشاهد أكثر من ستة من ذوي الجلود الحمراء ففرس في هذه النقطة بالعين المجردة لحظة من الزمان ثم تناول منظاره ووضع على عينه فوجد أنهم أربعة فرسان يسرعون في المسير جنوباً وإذا لم

نكن جهة سيرهم هي الجهة التي ينحوما البوليس تأكد أنهم لا يقتفون آثاره وفضلاً عن ذلك فليس لهم من اللحاق فائدة.

وعندما فكر في هذا عاودته المواجس فتناول منظاره وبدأ بالتفرس فوجد الأربعة يتدرجون إلى اليمين وينحون في سيلهم محاضرة على بعد عدة أميال ثم وضع منظاره في جيبه وقد ظهرت على وجهه علامت الاهتمام والتأمل العميق لأنه نظر بين الأربعة وعلى زعامتهم الفارس الذي طلب منه تبغاً وقص عليه ما عرفه عن دونلسون وماتيو. وكان الجو قد طبق بالغيوم مما دل على قرب هبوب العاصفة فتساءل في نفسه عما يجب عليه أن يفعله وهل كان يسير في النهج القويم فإذا كان ذلك فهو يدرك جماعته قبل أن يبلغهم الفرس الأربعة ولكنه إذا كان يعتف في طريقه فماذا يحدث؟ وبعد أن فكر قليلاً قال لا، لا، إني أتبع الآثار ذاتها ثم لكز جواده وأخرج من كيس معلق بسرج الجواد بعض الأمتعة الصغيرة، ثم ساق مطيه إلى سفح الرابية حيثما ربطها في مرجة صغيرة محاطة بالعليق حيث يجد الجواد حوله شيئاً من الكلاً فيمكن لنكارتر أن يتركه هناك برهة طويلة دون أن يخشى عليه شراً ثم اطرد سيره ماشياً.

وقد تبع في مسيره ضفة النهر وما زال يسير حتى وصل إلى مضيق عميق تندفع إليه مياه النهر بسرعة وتنصب فيه فيسمع لها دوي شديد، وكان ممتداً على المضيق جذعا شجرتين كبيرتين قصفهما النهر فأشبهها جسراً ورأى نكارتر آثاراً دلت على أن خيولاً عبرت ذلك الجسر حديثاً فتبع الآثار فقادته تبعه الآثار إلى غابة كثيفة نظر من خلال أشجارها خطأ من الدخان رآه وهو على الصخرة غير أنه كان الآن قريباً منه وهو يتصاعد من بناية خشبية عاث السوس في عوارضها.

وكانت تجري أمام هذا الكوخ ساقية جميلة مملوءة بالسلك وأمامها ما يشبه الاصطبل قد ربط فيه ثلاث جياد.

ولم يكن غير هذا الكوخ معموراً في الجوار، فاقترب نكارتز بمدوء وأصغى لما يجري داخل الكوخ الذي ظهر له أنه كوخ رجل يفتش عن مناجم الذهب فيسمع من الداخل جلبة وضجة، فتقدم بدون احتراس إلى أن دخل الباب فسمع صوتاً يقول:

قد اكتفينا يجب أن نضع حداً لهذا الإنكار، فاسمع يا كراب الحقيقة إننا نريد أن نقاسمك فإذا أصررت على الإنكار لا نسليك ماستك فقط بل حياتك أيضاً.

ثم ارتفع صوت آخر يقول:

إننا لم نأت إلى هنا لنسمع ثرثرتك.

فأجاب شخص ثالث:

— افعل ما بدا لكما، إذا لم تخجلا أن قاجما أعمى مسكيناً وتقتلاه فلا تترددا، ولكنني أعيد عليكم إنني لا أعرف ماذا حدث للماسة وأود أن أبذل جهدي لأبرهن لكم صحة قولي فإنني خلعت ثيابي عندما أمرني دلمار فهل تودون أن أعيد ذلك الآن؟

فصرخ المتكلم الأول:

ماهذه الترهات عندما تسدد حسابك نعلم ماذا نصنع بثيابك وأما الآن فما عليك إلا أن تجينا إلى ما طلبنا وتيقن أننا بعد ذلك نكون كرماء جداً حتى أننا نهبك حياتك.

أعطنا الماسة أو أهدنا إلى موضعها وأنت إذا رفضت ماتت لا محالة.

فقال الأعمى وهو يتهد وأي معنى للرفض هنا هل يقدر الإنسان أن يعطي إلا ما يملكه؟

— آه

ثم عاد الأعمى إلى الكلام فقال:

فكروا فيما تقدمون عليه وتذكروا أن الدم المهرق ينتقم له دائماً.

— هو ذا الرسول الصالح! إننا نعلم ما يجب أن نعمله.

ثم خيم السكوت لحظة على تلك الغرفة.

فقال نكارتر لنفسه يظهر لي أنني وصلت في الوقت المناسب لأمنع هذين الشريرين من ارتكاب جريمة جديدة.

فتفتح الباب بلطف ليرى ما يجري داخل الكوخ، فوجد كراب جالساً قرب منضدة في وسط الخُل وعيناه الكبيرتان تحدقان بالحائظ أمامه، ولا شك أن الأخيرين باغتاوه وهو على المائدة إذ كان عليها قطع من الخبز واللحم البارد وقدر ماء ووعاء للقهوة والملح وكان ماتيو ودونيلسون واقفين أمامه وعلى وجهيهما أمارات التهديد فكان واحد منهما رافعاً هراوة ضخمة فوق رأس الأعمى والآخر مستعداً أن يضربه بخشب البندقية.

فقال لا يوجد في القضية ما يقال إن كراب أعمى إذ ليس بيدي أقل ممانعة لهذا الخطر الموشك الحدوث.

فتخطى عتبة الباب وأسرع إلى الداخل وألقى نفسه بين الأعمى وبين الشقين وصرخ بهما:

— اخجلا أيها الشقيان أتضربا أعمى لا طاقة له على الدفاع إن هذا منتهى الجبن والندالة ونزع الهراوة من يد ماتيو برشاقة وقبض على بندقية دونيلسون وهمي الأعمى الذي لم يعلم ماذا جرى والذي لم يكن يشك أنه أشرف على الهلاك.

فجمد الشريران لمفاجأة هذا الرجل الذي لم يعرفا من أين أتى فخيّل لهما أنه هبط من السماء، واستولى الذهول عليهما بضع ثوان، أما كراب فإنه تنهد جزعاً واختبأ تحت المائدة.

وأخيراً أتمم دونيلسون قاتلاً:

أي شيطان هذا، من أنت أيها الرجل، من أنت؟

وكان لنكارتر مزية عليهم هي أنه يعرفهم لأنه نظر صورهم وأما هم فلا يعرفونه البتة. — من أنا؟ لا أرى إخباركم بهذا ضرورياً ولكن الذي يهمكم هو أنني لا أقدر أن أمكت عندما أرى شريين قويين مثلكما يفتكان بأعشى ضعيف ليس له نصير ولا قدرة على الدفاع، إنني لست عظيماً من عظماء الأرض ولكنني لست ندلاً لأدعكما وشأنكما.

فقال ماتيو: إنه لم يكن هنا سوى ضجيج فقط واننا رمنا أن نخيفه.

— أن تخيفاه، حسناً، ولكنني لم أفهم كيف يمكنكما أن تروعا أعمى بمثل ما عملتما.

وكان الرجلان شاخصين بأبصارهما إليه فقال نكارتر:

— أصغيت قليلاً قرب الباب فسمعتكما تكلمان عن ماسة وإذا كنتم تودون أن نتقاسمها وذلك يصحبكم فانا أرضى أن أكون حكماً وإذا كنت أقدر أن أفيدكما فانا خادمكم.

فقال دونيلسون بمحبة:

لا تزعج نفسك فهل يهيك أمرنا وهل لك زمن طويل هنا هلم اهرب بأسرع ما يمكنك.

— شكراً لك على هذه الدعوة للهرب، ولكنني أروم أن أمكت قليلاً.

ثم أخذ البوليس كرسيًا وجلس بمكون ثم قال: اصغوا لكلامي كل الإصغاء يا رفاقي:

إذا حدث خصام في هذا الكوخ بعد الآن فهو سيحدث بيننا، إنكم سألتموني عن اسمي

فأنا أجيبكم على ذلك إنني (جاك الأحمر) من مقاطعة مونتانا المدعو أيضاً (بالدموي

المائل)، وقد تعودت أن ألهم اثنين أقوى منكما وأضخم غذاءً لي.

وفي أثناء الحديث أسند البندقية إلى المائدة وسحب مسدسه من جيبه.

— أنتظران جيداً هذا الكلب الصغير؟ إنه ينبح دون أن يتحرش به أحد، وصوت واحد منه كاف.

ثم ضحك البوليس ضحكاً مرعباً وجلس إلى المضدة بينما كان ماتيو ودونيلسون يتبادلان النظرات، فقال ماتيو:

فلنسافر فلنسافر، إذ ليس لنا مقام هنا بعد.

فاقترب الاثنان من الباب.

فقال نكارتر وهو يعث بسلاحه:

أرجوكم أن تقيما خمس دقائق هنا أيضاً، فهذا المحل أوفق لكم وأنا أقول لكم السبب فإن عندي شيئاً لأقوله لكم وهو يهكمما جداً.

فنظر الاثنان بارتياب إلى جاك الأحمر الدعي وهما يرغبان أن يفتكا به ولكن سلاحه كان يوحى لهما أن يحترماه.

واستجع نكارتر الحديث فقال:

عودا إلى محليكما فما دمتما في هذا الكوخ فأنتما في مأمن من خطر الموت إنني أريد أن أقدم لكم اقتراحاً فإذا أردتما أن تساعداني ساعدتكما أيضاً.

وكان انفعال الشقيين يشند وهما يجدجانه بأبصارهما دون أن يلفظا كلمة.

فقال نكارتر بلهجة تدعو إلى الثقة:

إذا كان أحدكم أمهر من رفيقه فلب الماسة دونهما فلا تتخاصموا الآن لأجلها، كونوا أصدقاء، لأن خطراً مهولاً يهددكم جميعاً.

فقال دونيلسون:

أي خطر هذا؟ عماذا تكلم يا رفيقي؟ أوضح.

فقال كراب الذي فخص من محبته تحت المضدة:

نعم، أوضح ماذا تريد أن تقول؟ ليس عندنا ماسة قط فقال البوليس وهو يرفع كفيه:
— هذا ممكن ولكن يوجد في هذه النواحي رجال مقتنعون بعكس ما تقرره، أيكفي
هذا؟ هل فهمت معنى كلامي؟

— كلا إننا لم نفهم فهل تريد بتلميحاتك إلهامنا أن بولياً يقتضي آثارنا؟

فقال نكارتر وهو يرفع كفيه ثانية:

— ربما ولكني لا أعرف شيئاً من ذلك، ولكن الذي أعلمه أن رجالاً آخرين
يطاردونكم وهم أشد خطراً بما لا يقدر من أفراد البوليس.

اجلسوا مواضعكم يا رفاقي واسمعوا كيف عرفت ذلك، إنني لا أريد أن أرهقكم
فزعنا وسلامنا يتوقفان عليكم.

وبعد أن تبادل ماتيو ودونيلسون النظرات وجدا الأوفق لهما أن يتشجعا ويجلسا
فجلس الأول على كرسي مخلعة والثاني على صندوق فارغ فأخرج كارتير من جيبه
ورقة مربعة يعلوها الغبار مكتوبة بحروف حمراء ومد هذه الورقة لدونيلسون دون أن
يقول كلمة.

وكان فيه تصريح من أحد أشرف مقاطعات مونتانا يعد فيه بمكافأة كبيرة — خمسمائة
ريال — لمن يقبض على جاك الأحمر الشهير حياً أو ميتاً.

وكان نكارتر يتلاعب هذا التلاعب وهو أمين أن يفضح سره فإن عرف أن جاك
الأحمر كان في سجن هيلينا من مقاطعة قونتانا فليس في وسعه أن يفسد هذه الوحدة.

ثم فهقه نكارتر وقال لهم مما قرأتم في هذه الورقة يمكنكم أن تتفوا بي واسمعوا قصتي
الغريبة: فإنني اضطررت أن أقتل رجلاً كما أقتل ذبابة، وكان هذا الرجل قد صب ماءً
في قدح خمري أسمعتم؟ ماءً مع الويسكي! ماءً، ماءً.

فقلت لهذا الشقي الذي تجاسر على مزج الويسكي بالماء: إن قايين ليس شيئاً بالنسبة إليك، إن ما فعلته هو أعظم من قتل الأب أو الأخ وأريد أن أريك أيها الشقي كيف تجاسر أن تسمم رجلاً شريفاً بالويسكي المزوج بالماء، ولم أدعه ينتظر كثيراً بل أطلقت عليه رصاصة كانت القاضية.

أنتم ترون أي كنت محقاً فيما فعلت ولكن الشريف وأعضاء محكمته حكموا بغير هذا وبالاختصار فإني لو لم أقتل اثنين من المحرس لكنت علقت الآن في مشنقة جميلة، وكان موتي خسارة على الوطن أليس كذلك؟

ثم بدأ بطي الورقة وقال:

أما الآن فيما أنني بزى بربري أو وحشي كما يقولون فقد نجوت من الشرور ولم يعد من معارض لي في نزهتي، ولكنني قد صادفت منذ يومين فارساً قصص عليّ خبراً غريباً. قال لي أنه كان في خدمتكما وأكد لي أن في حوزتكما ماسة لا نظير لها في العالم بأسره وحاول أن يقنعني بالاتفاق معه لسلبكما إياها.

فنظر دونيلسون وماتيو أحدهما إلى الآخر وهما معجبان، ثم قال دونيلسون:

إصغ، إننا نعرف حق المعرفة هذا الرجل الذي تتكلم عنه فقد كان معنا وقد وقف على شيء من سرنا فلم يعد لنا مندوحة عن إفشائه لنجو من تعرضه، ولكن هذا ليس بالأمر الخطير.

فقال نكارتز حسناً دعني أتكلم:

على مسافة قليلة من هنا تجد رابية صخرية تتذكرانها دون شك لأنكما وطتماها بجواديكما، وقد وقفت عندها لأرواح النفس قليلاً فنظرت في السهل أربعة فوارس ساترين يجد ولم تكن هذه الناحية وجهتهم التي يقصدونها رأساً ولكنكم القوم الذين يفتشون عليهم وإذا نكبوا عن الطريق قليلاً فذلك حتى يجتمعوا برفاقهم.

أما متابعتهم لكم فهذا واضح وضوح الشمس وإذا كنت أشك في ذلك فأنا أقسم لكم بالرعد أنني أغتسل غداً وليحرسني الله، وقائد هذه الفرسان هو الرجل الذي كان في خدمتكم، وهنا ألق كلام البوليس صلعه الذين لم يشكوا في وشك الهلاك فاقترح دونيلسون سرعة الهرب.

فقال جاك الأهرم الدعي لا تفكر بهذا البتة فهؤلاء القوم يعرفون المقاطعة كما يعرفون جيوبهم فهم يمسكونكم حالاً، لا، لا، فأحسن ما نفعله هو أن نتربص هنا وندافعهم إذا هاجمونا.

— ماذا تقول؟ نتربص، إذن فأنت من جهلتا.

— مؤكد، فهل تظنون أنني أحتمل أن أراهم يشجون رؤوسكم بالرصاص ويقتلون هذا الأعمى المسكين، إنكم إذا ظنتم هذا فأنتم لا تعرفون جاك الأهرم حتى المعرفة، إذا هميت ظهري قليلاً فلا أتردد عن أن أفق وحدي أمام اثني عشر فارساً.

فقال كراب:

آه يا إلهي لماذا باشرت هذا السفر؟
فسأل ماتيو:

هل أنت متأكد يا مسيو جاك أن هؤلاء الرجال يعرفون طريق رجوعنا.
قال هذا وهو يتبادل النظرات مع دونيلسون.

فقال جاك الدعي:

إنني أحذركم فإن هؤلاء الرجال أقدر على اقتفاء الآثار منكم لأننا حرفتكم! ألا تعتقدون أنهم يعرفون بوجود هذا الكوخ؟
— هذا مرجح.

هل يخص هذا الكوخ أحداً منكم؟

فقال دونيلسون لا.

فصرخ كراب:

— إنه يحصني أكثر مما يحص غيري، لأنني أنا الذي بيته حين قدمت منذ بضع سنين إلى هذه الأنحاء طلباً لمناجم الذهب و كنت لم أفقد البصر بعد.

فقال له كارتير شكراً لك على هذه التعليمات فهل يوجد أكواخ في الجوار؟

فأجاب كراب: لا يوجد أكواخ إلى مسافة بعيدة أما إذا كانوا قد بنوا في هذه السنوات الأخيرة فهذا ما لا أعلمه.

فقال البوليس: لا أظن أن أحداً يستعمر هذه البقعة التي هجرها الله فهنا الذئاب تقاطع الدببة حتى أنها لا تحميها تحية السماء، وإذا اتفق أن مسافراً أعوزه الريبسكي في هذه القفار فما عليه إلا أن يصلي صلاة الموت.

وكان دونيلسون وماتيو مزويان يتكلمان بصوت منخفض وأخيراً خاطر به دونيلسون جاك الدعي بقوله:

— نعم إننا موشكون أن تقع في خطر عظيم وإننا نشكرك يا صاح لأنك أنذرتنا بالخطر قبل وقوعه فإذا رضي كراب أن يدفع إلينا الماسة فمن الممكن أن نجو جميعاً.
قبل أن . . .

فقاطعه نكارتير قائلاً:

— من الجنون أن تفكروا بمثل هذا الآن، إن هؤلاء الأشقياء يتبعوننا إلى مئات من الأميال.

فقال كراب:

— كيف يمكنني أن أعطي ما لا أملكه وما لم أملكه البتة.

فخاف ماتيو من إصرار شريكه ففتح فاه ليحييه ولكن نكارتير أسكته وقال:

سواء وجدت الماسة أو لم توجد فإنها على ما يظهر ستذهب بحياتنا جميعاً. . . إصغوا
فعلت وجوه الثلاثة صفرة وأصغوا وقد حبسوا أنفسهم فسمعوا وقع حوافر جياد
فأظهر جاك الدعي الضجر وقال:

إذا لم يكن هؤلاء هم الفرسان الذين أخبرتكم عنهم فإني آلو على نفسي أن لا أشرب
إلا الماء الصرف بقية أيام حياتي، ولكي أريكم قدر الذي حالفتموه يا أصدقائي
وسعادتكم بهذه المخالفة أرجوكم أن تتركوني أفتح القتال بنفسي.

ولم ينتظر البوليس جواب الثلاثة بل ترك الكوخ وبعد عنه أربعين متراً في طريق ضيق
وراء الكوخ.

ثم وقف فرأى الفرسان يقتربون وكانوا اثني عشر وعلى قيادتهم الرجل الذي طلب
تبغاً من كارتر، فأبدي كارتر لهم إشارة بمسدسه أدهشت الرجال فأوقفوا خيولهم
كأنهم يخضعون لأمر.

فصرخ القائد:

— هل وجدت معارفك؟

— نعم، أجاب الوحشي الكاذب، صحهم حنة وقد كلفوني أن أهمل لك تحياهم
فأين تذهب الآن؟

فهمهم القائد ثم قال:

إني قدمت إلى هنا مع صديقين لساعذك.

— أوكد لكم أن مساعدتكم لا تفيدني.

— لماذا؟

— لأنني لست في حاجة إليكم وهذا كل شيء.

ثم أبدي البوليس إشارة من مسدسه في طيها معان كثيرة.

فاتقرب الفرسان وتشاوروا بصوت منخفض جداً حتى أن كارتير لم يسمع من محادثتهم كلمة واحدة.

ثم عاد القائد إلى الكلام فقال:

— يقولون أنك تقصد أن تتحرش بنا وتفضنا.

— نعم فتكونون لي خبزاً جوهرياً قال ذلك وهو يضحك، إنني منذ يومين لم أقتل أحداً لأقتات به ومعدني فارغة ومع هذا فليس لكم بقلبي بغض ولا حقد ولا أريكم أسناني إلا إذا قصدتم الشر.

فقاطعته القائد قائلاً:

اقصر عنك وكف عن هذا الكلام أقول لك مرة، مرتين، ثلاث هل تريد أن تتخلى عن طريقنا؟

— إنك تقرأ أفكارى أيها الخيث.

— بالنتيجة فماذا تريد منا إننا لم نلحق بك الأذى.

— حتى الساعة لا، أما فيما بعد فأنتم موشكون.

— إذا مسست شعرة من رأس أحد أصدقائي جعلت لحمك طعمة للعقبان.

فأجابه البوليس ضاحكاً:

— فإذن فابدأ.

فصاح رجل كان واقفاً بجانب القائد:

يجب أن نرسل رصاصة للدماغ هذا الخشن.

ثم دفع جواده إلى الأمام قبل أن تبين نكارتير.

فعندئذ أطلق البوليس مسدسه فصمغ للرصاصة دوي واحلج الرجل فوق سرجه ثم سقط إلى الأرض لأن الرصاصة سحقت كتفه.

ثم قال نكارتر:

عندي من هذه الرصاصة قدر ما تشاؤون لا أتأخر عن بذلها في سبيل خدمتكم، إن الممر ضيق جداً حتى لا يمكن لأكثر من اثنين منكم أن يتقدما سوية، وعندى لكم مؤونة كافية وأصدقائي عندهم أيضاً كثير منها فإذا أصررتم على غيكم فإننا سنردىكم واحداً بعد الآخر حتى لا يبقى منكم أحد، وسأسر جداً إذا قدرت أن أخدمكم بأن أجمعكم مع أجدادكم السالفين.

فظهر الرعب على وجوه الفرسان عندما شاهدوا مصرع صديقهم وزاد في رعبهم سهيل الخيول واضطرابها، ثم صاح اثنان من مؤخرهم إننا لا نقدر أن نحتمل أكثر وحاولا أن يتقدما إلى الأمام ولكن جواد القائد أجفل وسد الممر فجعل هذه المحاولة مستحيلة.

ولم يمكن لأحد من الصف المتأخر أن يطلق النار على البوليس خشية أن يصرع أحد رفاقه فلم يجذبوا أفضل من العود فلووا أعنة الجياد وانفتلوا راجعين.

ونزل القائد وأحد رفاقه فساعدوا الجريح على الركوب وبينما كانا يجدان لينضما إلى الفرقة التفت القائد إلى نكارتر وقال له:

أيها الغريب إنك قد بدأت القتال فاحذر من انتقامنا قبل أن يطلع النهار.

فقال نكارتر بحدة:

جربوا فإن عندنا من (الملبس) ما يكفيكم.

وعندما توارى الفارسان عن نظره عاد إلى الكوخ، فوجد دونيلسون وماتيو وفي يد كل منهما مسدسه وهما واقفان أمام الباب.

أما كراب فلم يتحرك من موضعه وكان وجهه مصفراً وأمامه على المنضدة مسدسه فقال ماتيو للبوليس:

يا للشيطان، إنك عراف شهير دون شك فإنك لو لم تبثنا بالخطر لقبضوا علينا ونحن في الكوخ كما يقبضون على الثعالب.

فقال كارتر:

لم تنته المعركة بعد فإنهم سيعيدونها.

فسأله كراب وهو يضطرب:

أتظن أن هذه العصبة ستعاود الهجوم قبل الليل؟

— لا، لا، إنا الآن آمنون إلى أجل قصير ويحسن بنا أن نغتم هذه الفرصة لقتات بشيءٍ وبعدها نعد الوسائل لمصاومتهم، قال البوليس هذا ثم دخل إلى الكوخ.

فقال له دونيلسون:

كل قدر ما تشاء إذا كنت جائعاً، أما أنا فإنني لا أقدر أن أتناول لقمة واحدة وأفضل أن أقوم على حراستكم خارجاً، وأظن أنه من الضروري أن يقوم واحد منا على هذه الحراسة.

فقال له جاك الأحمق الدعي: كما تشاء.

وكان يظن أن دونيلسون يحاول الهرب فلم يهتم بذلك ولم يحاول أن يصده لأن شكوكه كانت تقع على كراب في الغالب وترك أيضاً ماتيو يرافق صديقه.

فقال كراب للبوليس:

— هناك في هذا الوعاء قهوة وعلى المائدة تجد لحماً مقدداً فتقدم كارتر بانطلاق، وقد حاول ماتيو أن يأكل ولكنه لم يقدر أن يلع.

ومع هذا فإن دونيلسون لم يحاول الفرار بل عاد إلى الكوخ بعد أن أتم كارتر عشاءه فسأل البوليس وفمه مלאً:

— ماذا يوجد؟

فقال دونيلسون: إنهم سيهاجمونا قبل الليل — وكانت هيته مضطربة — فإذا شاء كراب أن يعطينا الماسة فمن الممكن أن نجو جميعاً.

— كيف ذلك؟

— يمكننا أن نمر على هذا الجسر المؤلف من جذعي الشجرتين ثم نطلق فيه النار فلا يمكن الآخرين العبور.

فقال جاك الكاذب: أنت تعتقد بذلك يا صديقي؟ يظهر أنك لا تعرف هؤلاء الرجال معرفة يقين، إنهم قادرون أن يمسكونا إذا جازوا من محل آخر.

— ولكن يمكننا أن نخشى بين الصخور وندعهم يتقدمونا.

— كان ممكناً هذا لولا أن هؤلاء الرجال يعرفون هذه الصخور — منذ ولادتها — فهم

يحصروننا حتى نهلك جوعاً، وأقول لكم أن أحسن ما نفعله هو أن نبقى هنا ونصدمهم كالأبالسة، إننا أربعة على اثني عشر فلسنا في غاية الضعف لأننا في هذا الكوخ كأننا في معقل.

— ولكن لا يمكننا أن نعد كراب بين المدافعين.

— هذا حق إنني نسيت أنه أعمى، ولكن إذا كنتما من الرماة الماهرين مثلي إذن. . .

فقاطعته دونيلسون قائلاً:

إن هذا كلام في كلام سنهلك جميعنا إذا بقينا هنا.

— أجب سؤالي أولاً أيها الجبان هل تعرف أن تطلق النار جيداً؟

— ذلك مما لا ريب فيه.

— وأنت يا ماتيو.

— يا إلهي: إنني عند الحاجة أعرف كيف أسعمل المسدس.

— حسناً فليس علينا إلا أن ندافع عن نفوسنا فماذا تقول يا كراب وقبل أن يجب كراب أفرغ قدح الماء في فيه ثم قال:

— ليس لي ما أقوله سوى أنني كنت أود من صميم الفؤاد أن لا أبلغ هذه الأنحاء المقفرة، إنني أنصحكما يا رفيقي أن تتبعنا نصائح هذا الرجل فأنتم سبب هذه المتاعب، إنكما تريدان أن تجعلاني سارق الماسة وأخبرتما غريباً بما تقصدان فكانت نتيجة ثرثرتكما أن عصبة من الأشقياء تعقبنا الآن وهذر كما سيأتي على حياتنا.

وكان كراب يتكلم بلهجة ملؤها الإخلاص حتى أوشك أن ينخدع بما نكارت نفسه لولا أن براهين دامغة كانت تقنعه أن كراب بالرغم عن إنكاره الشديد هو سارق الماسة.

فلمعت شرارات الحقد في نظري دونيلسون وماتيو المرجهين إلى كراب ثم التفت نكارت إلى دونيلسون وسأله قائلاً: هل تظن أنهم يهاجمونا هذه الليلة؟
— إنني نظرت هؤلاء الأشقياء حين صعدت إلى ذروة الراية فوجدتهم في الوادي مشغولين بتناول الطعام والعناية بالجريح وسيصلون إلينا في الليل فقال ماتيو لم يبق للظلام إلا ساعة واحدة.

فتهد كراب تهديداً كثيراً وسأل قائلاً: هل يوجد مظاهر تدل على قرب وقوع المطر؟
— نحن معرضون من حين إلى آخر لغيث ساكب.

وكان نكارت قد أنهى العشاء فدخن لفافته بمدوء، وكان من مظاهر الكينة التامة التي تلوح على وجهه أنها أثرت تأثيراً حسناً في نفس البقية، وبعد قليل أقبل الظلام.

وكان نكارت جالساً قرب الباب فالتفت إلى الداخل وقال: أظن أن العصبة لا تتأخر طويلاً فاسعدوا للمصادمة.

فقال ماتيو والحيرة لا تفارقه.

— ماذا تقدر أن نصنع؟

— إنهم يعتقدون دون شك أننا ستحصن هنا فإذا أغلقنا باب الكوخ أحبطنا ما يرومونه من حصارنا ولا أظنهم يعودون إلينا راكبين ولكنهم يترجلون في الوادي ويتسلقون الصخر إلينا.

فقال دونيلسون:

— إننا نقابلهم سوية وهم يقابلوننا واحداً واحداً حقاً إن هذا موافق.

— هل تنظرون ذلك الصخر على بعد خمسين متراً؟

وكان الليل حالكاً فلم يتبينوه ولكنهم عرفوا عماذا يريد أن يكلمهم.

— اثنان منا يلوذان بذلك الصخر فيصيران كأنهما في معقل، فأتما يا دونيلسون وماتيو تذهبان إلى هناك وأنا والأعمى نتوارى وراء هذا الصخر المقابل وإن يكن أقل مناعة من ذلك إلا أنه كاف، فإذا انحدر المهاجمون من الراية شويناهم بنار بنادقنا.

فقال ماتيو: فكرة في غاية الإصابة فعال يا جورج.

— نعم إن هذا التدمير حسن — قال البوليس — إن رصاصي تسوى اثنتين أما الأعمى فيحشو لي السلاح، أليس كذلك يا كراب؟

فأجاب العس بلهجة اليائس، أفل كل ما تأمرني به، ثم أفرغ قذح الماء في فمه وسار وهو يتلمس الحائط إلى زاوية من الغرفة، ثم عاد وفي يده حقيبة مملأى بالخرطوش.

فسأله نكارتر: أهذه لي؟

— نعم، فقدني الآن إلى الزاوية التي عيبتها.

فسار دونيلسون وماتيو إلى الصخر الذي دلها عليهما البوليس وسار كراب ونكارتر إلى الصخر المقابل على بعد خمسين خطوة من الصخر الأول.

— لا يوجد في هذا الصخر سوى محل لرجل واحد فتعدد أنت على الأرض.

فسأله الأعمى: وأنت ماذا تفعل يا صديقي؟

— أنا أجد ملجأً ليقيني المهاجمة من بعض النواحي.

فتهد كراب وقال كل هذا من أجل ماسة مشروومة.

فقال البوليس ضاحكاً:

— نعم، إنني بعد كل ما سمعته لا أرى أشأم منها، ولكن كفى الآن! فإما أن يكون

سمعي قد خدعني أو أن المهاجمين اقتربوا! أصغ.

وأصغياً فسمعا دويّاً من غابة مجاورة وكان خفيفاً جداً في بادئ الأمر ثم أخذ بالاشتداد

شيئاً فشيئاً.

وأطلق بقة طلقان ناربان من وراء الصخر الذي لاذ به دونيلسون وماتيو.

فتعلم البوليس وقال ما أشد حقهما إنهما أهديا الأعداء إلى مكمنهما عوضاً عن أن

يجعلاهم البادئين، فهذه الغباوة تكلفهما كثيراً.

وفي الواقع أنه لم يكد الطلقان يلمعان حتى دوت ست طلقات من المهاجمين وكلها

موجهة إلى حيث خرجت النار.

فأيقن نكارتير أن الوقت قد حان فأطلق النار وللحال تصاعد في سكون الليل صراخ

ألم شديد، فقال البوليس قد أجدى الطلق على ما أظن، ثم أفرغ من مسدسه الخمس

الطلقات الباقية بسرعة مدهشة، ثم أمر كراب أن يحشو السلاح.

وكان يسمع حركة الأعمى وهو يحشو المسدسات، وسمع أيضاً من قمة الراية صراخاً

وتجديفاً فقال قائد العصابة:

باللداهية، إنهم أكثر مما ظننتهم.

فسأله آخر قائلاً:

هل جرحت يا وان؟

— نعم.

— وأنا أيضاً مصاب بمجرح بليغ.

فظن نكارتر أن الأعداء سيقاتلون وهم متقهقرون فإذا كان ذلك فما عليه إلا أن يطلق طلقاً واحداً، أو أنه يفرغ سلاحه في الهواء.

وفي هذه اللحظة دوى طلق من صخر الصديقين أجابه الأعداء بطلقات شديدة قوية ونظر نكارتر شبحاً يتسلل بين الأشجار فصوب عليه المسدس وأطلقه فاضطرب الشبح وتوارى في الغاب دون أن يهم بصيحة ألم.

— هذه خسارة، قال البوليس، كنت أفضل لو صرخ، لأنه كان يلقي الرعب في قلوب المهاجمين.

وهذا الطلق بدل الوجهة التي كان يقصدها المهاجمون فإهم عرفوا أن الخطر يهددهم من الجهة الأخرى، وللحال لمعت رصاصة وسقطت على الصخر وراء نكارتر والأعمى، فتمدد نكارتر على بطنه أما كراب فإنه حشا الأملحة وأعطاهما لرفيقه الشجاع وهو يتلملم وسأله:

هل تظن أنهم يحاصروننا هنا؟

— هذا ممكن.

ولمعت طلقات جديدة بالقرب منهما.

فقال البوليس وهو يحاول أن يتبين المهاجمين — عمل حسن.

ثم سمعوا طلقاً من وراء صخر الصديقين، فلم يقابله الأعداء بالمثل.

ثم ابتدأ الحصار الذي تنبأ عنه كراب ونكارتر.

وقد سبقه سكون لم يفرغ في أثناءه نكارتر رصاصة من مسدسه ثم نظر بغتة دوران الفتیان المتسرعين.

فنهض قليلاً وهو يحمل في كل يد مسدساً فأفرغهما بالتتابع على المهاجمين بمهارة فائقة، وقد أصاب في الجميع تقريباً فكنت ترى هنا هيكلأ بشرياً يتقلب على الأرض أو يضطرب أو يتوارى في الظلام.

ولم يسكن الأعداء مدة طويلة بل عادوا إلى المهاجمة فانطلقت رصاصة رفعت قبعة نكارتر وطرحتها على الأرض، ولكن في ذات اللحظة سقط الرامي على الأرض وهو يصرخ صراخ الألم.

وكان نكارتر قد أبقى رصاصتين في كل مسدس.

ولكن طلقاً بالقرب منه ألفت أنظاره فوجد كراب قد أطلق النار فسأله:

ماذا صنعت هل أنت مجنون؟ دعني لهذا العمل فعلينا أن نقتصد في الذخيرة.

أنت محق، ولكنني فكرت أن رصاصة تطلق صدفة ربما كان لها بعض النفع وقد هيجت حتى لم أتملك نفسي.

وظهر أنه قد أصاب المرمى لأن البوليس نظر شبحاً يميل ذات اليمين وذات اليسار ثم سقط وقد كان مؤكداً أنه لم يطلق النار على هذا الرجل فتتم قاتلاً في نفسه: آه، آه، إنني قد بدأت أفهم.

ولكن الوقت لم يكن وقت تفكير.

فإن ثلاثة أشباح اندفعت نحوه وهي تطلق النار بدون انقطاع حتى كادت تصم أذنا البوليس وكانت الرصاصات تمر بجانبه ولها صوت كفحيح الأفاعي ثم شعر برصاصة قد خرقت قميصه ولامست كتفه، وللحال غير نمط المهاجمة فعوضاً أن يبقى في مكانه انقض على مهاجميه وهو يشب وثب السم وأفرغ من مسدسه رصاصة صرعت أقرعهم منه.

وكان الثاني قريباً جداً من نكارتر فاسعمل نكارتر مسدسه كهراوة وضربه على رأسه ضربة كانت القاضية عليه فسقط المسكين على الأرض.

أما الثالث فركن إلى الفرار لا يلوي على شيء كأن الموت يقتفيه ثم تواري في الوادي فتركه نكارتر يفر.

وهذه البسالة الفائقة من رجل واحد قررت النصر والظفر.

ثم التفت نكارتر إلى صديقه الأعمى وقال له أما الآن فسعود إلى الكوخ إذ لم يعد من خطر.

فنهض كراب واستند بيديه على ذراع البوليس، فلاحظ هذا أن الأعمى قام بهذه الحركة بسكون ولم يخامرهما شيء من الاضطراب والتردد الذي كان يرافق أقل حركاته.

كان الأعمى يتشكى منذ مدة يسيرة أنه عصبي المزاج سريع التأثر ولكنه في هذه اللحظة كان يظهر أنه ليس أقل جلدأ من نكارتر نفسه، فقاده البوليس إلى الكوخ، ولما وصل الاثنان إلى الباب وضع نكارتر يده على فمه ليستجمع قوة صوته ونادى الرفيقين الباقيين أن أخرجوا من مخبأكما فكل شيء قد انتهى وللحال أبصر رجلاً يعجل السر نحوه وكان هذا الرجل ماتيو، فسأله نكارتر: أين صديقك؟ فأجابه ماتيو بصوت متلجلج، قد مات، أصابته رصاصة عند الطلق الأول نفذت إلى دماغه.

— آه ما أتعس! ولكن لماذا عرض نفسه للخطر بتصديه لإطلاق النار أولاً.

— لماذا، لأنه ظل متهوراً إلى الساعة الأخيرة، فإني توصلت إليه أن يتربص قليلاً ولكنه أبى إلا أن يكون البادئ، وحالما أطلق النار رفع رأسه ليرى إذا كان أصاب المرمى وفي الدقيقة عنها صاح صيحة مرعبة وسقط بين ذراعي ميتاً.

— إنني سمعت تلك الصيحة ولكنني ظننت نشأت عن الأعداء، ماذا تريدون؟ إن الذي لا يصغي إلى النصائح تكون العاقبة وبالاً عليه والآن فلنظر خسائرننا فهل أنت جريح يا رفيقي؟
— كلا، وأنت؟

— إنني حمشت في ذراعي فهل عندكم مصباح؟
وكان مع نكارتري مصباحه الكهربائي ولكنه فضل أن لا يستعمله لئلا يثير الشكوك في نفس الرفيقيين وكان يشعر بحاجة إلى الحذر والاحتراس آئل ما تقدم خطوة، وفوق ذلك فإنه لم يتمم وظيفته بعد فبالرغم عن كل ما قام به فالماسة ما زالت مفقودة.
فقال كراب هناك مصباح في الزاوية.

وبعد أن أوقدوا عدداً كبيراً من الثقاب (عيدان الكبريت) وجدته ماتيو فأضاءه في أثناء ذلك كان نكارتري قد خلع ملابسه ورفع كم قميصه فظهر على ذراعه جرح خفيف فقال البوليس إن الرصاصة كانت مسددة، ولنخرج الآن لنرى ساحة القتال ثم تناول المصباح واقترب من الباب.

فصرخ ماتيو:

هل أنت مجنون؟ فإذا كان أحد لأعداء مطروحاً على الأرض وله مكنة على إطلاق النار أفلا يتخذ منك هدفاً مناسباً؟

— هذا صحيح، ولكنني أشك في بقاء أحدهم حياً وإذا وجد أحد فهو لا يؤثر النزاع، وعند اقترابه من الأشجار أبصر شبحين يقتربان بيضاء فصاح به أحدهما لا تطلق النار أيها الغريب فإننا قد نلنا فوق الكفاية.

— كما تريدون أيها الأصدقاء إننا قوم مسالمون ولا نود أن نؤذي أحداً ولكن إذا كان جلد أحدكم كما يأكله فما عليه إلا أن يعود، فما زال لدينا ذخيرة معدة لخدمته ونستأنف

الدور، فلم يجيباه وعندما تقدم البوليس فرأى على نور الصباح أن أحدهما كان جريحاً جرحاً بليغاً وأما الجريح الثاني فكان خطبه أيسر فسألتهما هل خرج أحد منكم سالماً من المعركة؟

— نعم، ثلاثة.

— وأين هم؟

— إنهم نجوا كالأرانب واختأوا في الكهف.

— كذلك يفعل النيهاء، إنني أراكم قادرين على المسير فاذهبوا وادعوا أصدقاءكم، نوباً عني بتحتهم وناديتهم ليرجعوا أو يعنوا برفاقهم ويطشوا من جهتنا فإننا سنساعدكم في مهمتهم، ولكن اصغروا: إذا كنتم عازمين أن تعيدوا المشهد فإننا سنجعل أجسادكم قوتاً لذئاب هذه الغاية.

فتمتم أحد الرجلين:

يا إله السماء، إننا قلنا أكثر من حسابنا، فكن مطتاً، فنحن لا نريد إلا المسألة على شرط أن تقابلنا بالمثل.

ثم ودعا البوليس — وداعاً بسيطاً — وانحدرا مسرعين إلى منحى الكهف ثم عادا ومعهما الأصحاب الفارون.

وفي خلال غيابهم جال نكارتر في ساحة القتال ليرى إذا كان في وسعه أن يساعد أحداً من الجرحى، فوجد اثنين منهم ضمد جراحهما بمناديل أحضرها ماتيو من الكوخ خمسة من المهاجمين في جملتهم القائد سقطوا في المعركة.

فقال البوليس وهو يفكر:

يجزني أن أضطر إلى الفتك بمؤلاء، ولكننا كنا ندافع الدفاح الذي يجزه الشرخ فلو لم ندافع لكنا قتلنا الواحد بعد الآخر وظل الثلاثة الأصحاء نحواً من ساعتين حتى واروا

قتالهم في الثرى وأعانوا الجرحى إلى بلوغ مرابط الخيل، ثم تواری هؤلاء الفرسان عن العيان وكانوا منكبي رؤوسهم حزناً لإحفاق سعيهم فعرضاً أن يلاقوا الماسة لاقوا الضرب والرصاص.

وعندما بعد الأعداء قال جاك الكاذب أول فرض يجب علينا القيام به هو أن ندفن دونيلسون، فاستحسن ماتيو هذا الفكر واشغل الاثنان بحفر ضريح لجسد رفيقهما فصرفا في هذا السبيل ساعة من الزمان.

وفي أثناء ذلك كان المطر يتساقط غزيراً.

وكان كراب جالساً داخل الكوخ ووجهه بين يديه وكان مضى الهزيع الثاني من الليل حين عاد كارتر وماتيو إلى الكوخ.

فقال نكارتر لا أعلم يا صديقي إذا كنتما قادرين على السهر أما أنا فسأنام قال ذلك وهو يتأهب.

فقال ماتيو:

لو أعطوني ذهباً لأنام ما أمكني ذلك..

ولكنه بالرغم من هذا الكلام اضطجع في زاوية من الغرفة وبعد بضع دقائق علا غطيظه واستغرق في النوم، ولكن البوليس لم يغمض له جفن.

وكان الهواء يزداد رداءة، وقبل الفجر بقليل هبت عاصفة شديدة يصحبها برق ورعد، ولكن ماتيو لم ينتبه البتة بل ظل مستغرقاً في النوم.

وكان الظلام لم يزل سائداً عندما لحظ البوليس أن الأعمى نهض بتأن ومشى على رؤوس أصابعه نحو الباب، وكان يتقدم ببطء ولكن حركاته ليست حركات من فقد

بصره.

وهنا تلاشى الشك الأخير من نفس نكارتر، لقد شك به أثناء المعركة ولكنه تأكد الآن أن كراب كان من النوع المسمى (نكتالوب) والنكتالوبيا هي خاصة في العين تمنعها من النظر إلا في النور الضعيف أو الظلام الخالك وهي واضحة في المهررة الداجنة التي تبصر ليلاً كما تبصر قماراً.

وهذه الحالة نادرة جداً بين بني الإنسان ولكن نكارتر نظر مشهدها فكان كراب في النهار أعمى ولكنه يصبر جيداً في الليل.

وقد قدر أن يخدع جميع من شاهده حتى أصدقاءه الأخصاء فإنهم كانوا يعتقدون أنه فقد بصره تماماً، ولكن لما أطلق النار رغم إرادته فصرع الرجل الذي استهدفه كأبرع صياد كشف سره لنكارتر.

وهذا الاكتشاف زاد شبهة كارتير فجزم بأن كراب هو سارق الماسة دون غيره، وكان عليه أن يعرف مخبأها، ولم يفكر بإيقافه بل حاذر كل ما من شأنه أن يلقي الريب في نفس الأعمى قبل أن يعرف مخبأ الماسة.

إن هذا النكتالوب أظهر مهارة فائقة لا في سرقة الماسة فقط بل بتغيبها على شكل غامض حتى لم يجدوها معه ولا في ثيابه، فكان البوليس متكللاً على الصدفة وأن يدع السارق أميناً.

ولهذا لم يعارضه حين خرج تحت المطر المتساقط كأفواه القرب بل نهض بتأن لیتبعه. إن الثبات الذي كان يسير به كراب في تلك الأرض الوعرة والمغطاة بالعوسج وليس فيها طريق مطروق أذهل البوليس إذ أنه على الرغم من نظره الثاقب ومن اعتياده المسير في الليل والنهار بين الوعور والآكام كان يبذل جهداً شديداً كي لا تزل به القدم.

وكان كراب يتقدم دون تردد ولا تأخر وبدأ بالتزول على الصخر إلى مصب النهر فضاقت صدر نكارتر لأنه لم يعلم كيف يتبع النكتالوب في هذه الليلة الخالكة فوقف لحظة ليفكر فسمع بغثة وقع خطوات وراءه، فالتفت وإذا ماتيو قد انقطعت أنفاسه من سرعة الجري وكان قد وصل إلى حيث كان البوليس فقال له بصوت منخفض.

إنني نهضت فجأة ونظرت نور البرق فوجدتك قد خرجت من الكوخ فهل تقدمك — بدون شك — أجاب نكارتر وهو شديد العجب من تصرف ماتيو أنه قد خباها في الكهف على ما يظهر.

فآلى ماتيو على نفسه أن يلحق به وكاد يندفع في سبيله فأمسكه نكارتر بيد شديدة فأثبته في محله وقال له ببرودة:

انتظر دقيقة بعد يا عزيزي فعندي شيء أريد أن أوضحه لك فارتعش ماتيو، فغنه رأى أن سلوك جاك الدعي لم يعد هو ذاته حتى أن لهجة صوته تغيرت ثم قال:

— ماذا تريد أن تقول؟

— إنني بوليس ليس إلا وأنا مكلف أن أعيد الماسة إلى صاحبها الشرعي الذي سلبت منه، فحين تصل الماسة ليدي أعيدها إلى دلمار، أما أنت يا مسيو ماتيو فأنا لا أريد منك شيئاً ولكن إذا حاولت أن تقاومني أو تحبط ما أحاوله فستندم على ذلك، فوقف ماتيو دقيقة دون حراك كأن الصاعقة قد انقضت عليه وحاول عبثاً أن يتكلم.

— بو. . . . ليس. . . . بوله. . . . يس — قتم أخيراً، وأنت أنت. . . ت. . . تر. . . قينا.

— أنا لا أقتفي آثارك ولكنني ألاحق كراب، كنت أفعل مثلكم.

قال نكارتر ببشاشة: فإنني كنت أعلم منذ زمن بعيد أنك لا أنت السارق ولا دونيلسون ولكنكم صممتم أن تستردوا الماسة ولكن لا لتعيدها إلى صاحبها بل لتبقوها لأنفسكم.

— لكن... لكن... لا أعرف... أريد أن أسألك... ماذا تدعى؟

— أدعى كارتر من نيويورك وعادة يدعونني نكارتر.

— يا إلهي.

فارتجفت جميع أعضاء ماتيو واستلقى على صخر وهو يحاول أن يستعيد نفسه.

— صمم الآن — قال البوليس إنني قدمت لك نصيحة حنة وأنا آمل أن تقابلني بالمثل وهذا كل ما أطلبه منك.

— اعتمد عليّ يا مسيو كارتر، فلتحرمني السماء من عداوتك.

— لا أحقد عليك — قال البوليس — وقد أخذته الرأفة على ضعف ماتيو ورعبه.

فلنسمع.

— كل ما تريد.

— هل أنت شريك كراب؟

— نعم ولكن لا في سرقة الماسة.

— أعرف هذا، ولكنك تعرفه منذ زمن طويل، هل تعرف أنه كان نكتالوب يعني

أعمى في النهار ويرى في الليل؟

فنظر ماتيو إلى مخاطبه بعجب.

— حقاً إنك لاحظت ذلك؟ إنني اشتبهت به منذ زمن طويل وكدت أتأكد.

— وأخيراً تبدل شكك باليقين.

— ولا ولكن بالعكس بل كثيراً ما كنت أغالط نفسي، فإن كراب إذا لم يكن سوى نيكالوب فإنه أمهر ممثل عرفته في حياتي.

— أنا على رأيك في هذا الأمر، إنه نيكالوب وأقدر أن أؤكد ذلك.

— هل تعرف أين خبأ عين الشيطان.

— لم ألاحظ أقل شيء من ذلك، ولا أقدر أن أجزم فيما إذا كانت الماسة في حوزته فليس عندي أقل برهان سوى الاستدلال والاستنتاج.

— وأنا من رأيك.

— أرجوك — إذا كنت تريد الخير لنفسك — أن لا تكتم عني شيئاً علمته وأقدر أن أستفيد منه شيئاً.

— أقول لك الحقيقة يا مسيو كارتر كما لو كنت أتكلم بعد القسم وأؤكد لك أنني أفادي بكل شيء حتى لا أعاديك.

— حسناً — وأنا أسمع — عندما اجتمعت بصديقك دونيلسون وصادفتما الأعمى هل كان في الكوخ.

— لا، كان الكوخ خالياً، ولكننا وجدنا آثاره فجزمنا برجوعه.

— ومتى رجع؟

— أمس مساءً.

— أول الليل.

— نعم.

— إذن فهو في الليل يرى بجلاء إذ كيف يمكن الأعمى أن يجول وحيداً في هذه المقاطعات المنفردة، أو لم ينهك ذلك إلى أنه نيكالوب.

— نعم إن هذا الفكر داخلي، ولكنني لم أفه لدونيلسون بكلمة.

— هل عرفت شيئاً عن الخجل الذي كان فيه كراب؟

— لا أعرف. . . ولكنه أتى من هذه الجهة، ثم أشار إلى جهة الكهف.

— هل نظرتَه يتزل إلى هذا الكهف؟

— إننا راقبناه طول الليل، فلم يكشف لنا من الأمر شيء حتى وصلت إلينا، وقد

تفنا في سؤاله وأخيراً فرغ صبرنا فعولنا على إرغامه ليعطينا الماسة طوعاً أو كرهاً.

— إنكما تصرفتما بكل خرق في التدرج بالوسائل ولو لم أباغتكما لكت الآن قاتلاً

شقياً أمام الله والناس.

فارتجف ماتير وغطى وجهه بيديه ثم قال وهو يتململ.

— كنت أود لو لم أتناحل في هذه القضية، مع أنني أنا، أنا الذي زنت لدونيلسون

اتباع الأعمى واغتصاب الماسة.

— إنني قلت لك وأكرر ما قلت، ليس في صدري شيء عليك لا شخصياً ولا بداعي

الوظيفة ويمكنك أن تحب الآن دون أن تحشى شيئاً، ولكن كن حكيماً في

المقبل، وأنصح لك الآن بالرجوع إلى الكوخ مسرعاً كما تفر من الموت، أما أنا

فسأتابع الأعمى إلى الكهف.

— دعني أصاحبك يا مسير كارتر، إنني فكرت ملياً في ذلك، فقد كانت هذه الماسة

مشؤومة فألفتني في هذه الوهدة، وأريد الآن أن أبذل الجهد المستطاع لأردها إلى

صديقي القديم دلار.

فقال البوليس وهو يرفع كتفيه:

— كما تشاء إذ لا أجد مانعاً من إجابتك إلى ما تطلب، ولكنني أود أن ألفت أنظارك

إلى الخطر الذي تسعى إليه فإن كراب ينقل مسدسه وهو يرى في الظلمة كما يرى

الهر.

— إذا لم أكن مخدوعاً أقول أنه خبياً أيضاً بندقية في الكهف ولكن هذا لا يثني عزمي عما أروم.

— حسناً جداً، ولكننا نحتاج نوراً لثلاث نعر في الحدران لأننا لسنا من فصيلة (نكتالوب) كما تعلم.

— سأذهب إلى الكوخ وأفتش عن المصباح.

قال ذلك وهمّ بالذهاب فأمسكه نكارتر بذراعه وقال له:

لا حاجة لذلك فإن معي ما يغني، وأخذ من جيبه المصباح الكهربائي وأناره بضغطة على الزر.

فأبصرا أمامهما ممراً ضيقاً متحدراً كثير المزالق يؤدي بعد معاناة الأخطار إلى قاع الكهف، فتدرج الاثنان في هذا الطريق وهما متحدران، ولكنهما أسرعاً في المسير على قدر الاستطاعة.

فوصولاً أيضاً إلى أرض جرداء ولم يكن فيها سوى طريق صغير متعرج ضيق مملوء بالحجارة المحددة الرؤوس التي كانت تمزق الأحذية وكان على يمينها صخر ينهض إلى الأعالي حتى تغيب قمته في السحاب وعلى يسارها النهر بأواجهه المزبدة فسأل البوليس أي طريق يسلكه كراب عند مروره من هنا.

ولم ينتظر طويلاً حتى يسمع جواباً على ذلك فإن شهاباً لمع للحال قرب النهر وسمع دوي طلق فأرعب نكارتر رعباً شديداً.

وصرخ ماتيو صراخاً هائلاً وأن أنه جرع لا تترجم بالكلام ثم رفع ذراعيه إلى السماء وحركهما هنيهة وبعد أن خطا بضع خطوات إلى الوراء سقط إلى الأرض لأن الرصاصة كانت قد اخترقت قلبه.

ولكن نكارتير لم يفقد صوابه فأدار نور المصباح إلى الجهة التي أتى منها الطلق ولكن النور لم يبلغ المسافة المطلوبة حتى يرى من هو الذي أطلق النار، فعزم البوليس أن يتبع مجرى الحوادث.

وبعد لحظة دوى طلق آخر أصاب المصباح الكهربائي الذي كان في يد البوليس ولحسن الحظ كان نكارتير ماداً يده بالمصباح لتطول المسافة التي يبلغها نوره فرفضت يده الصدمة الشديدة، وحين فقد النور عرف شدة الخطر الذي وقع فيه، إذ كان لخصمه عليه مزية كبرى في أنه يرى بجلاء على رغم الظلام المتكاثف أو بالأحرى بواسطته.

ولكن البوليس لم يكن يرى شيئاً فراح يعدو إلى جهة الصخر ليحصن به. فوفق الالتجاء إلى تجويف ضيق في الصخر انسل إليه بصعوبة وهناك رضى بتظر النتيجة بفارغ الصبر.

فدوى طلق جديد وقع على الصخر الذي كان البوليس على وشك مغادرته فقال: إذن ينبغي أن أقيم هنا دون حراك فإنني إذا خاطرت في التقدم خطوة إلى الأمام أصابني رصاصة شذخت رأسي، لأن هذا الحيوان يصيب المرمى أحسن إصابة، ومع هذا فإن مقامي ليس أقل خطراً من القدم فقد يمكن أن يبلغه كراب دون أن أشعر به. وفي هذه اللحظة دوى الرعد فرددت صدى دويه الأودية بما يصم الآذان ولمع البرق فأضاء تجويف الصخر وتلك الأرجاء كلها حتى سهل النظر على البوليس.

فغم كارتير هذه النهضة وحاول أن يستفيد منها عالماً أن كراب لا يستطيع فيها شيئاً بسبب ضعفه، فخطار حينئذ ورفع رأسه قليلاً ليرى خصمه فوجده على بعد خمسين خطوة واقفاً أمام ضفة النهر وهو يحمل باليد الواحدة بندقية ويستر عينه بالأخرى حتى لا يبهره النور.

فعمد نكارتر إلى الاحتيال الذي خلصه من مواقف أشد خطراً من هذا الموقف فأخذ قبعته وعلقها على رأس صخرة ثم نزل مسرعاً إلى ضفة النهر حيثما لا يرى. ثم اختفى نور البرق وساد الظلام ولم يعد البوليس قادراً أن يرى كراب فلم تمر لحظة حتى سمع دوي شديد وسمع كارتتر صوت قبعته المتدحرجة على الأرض.

— لم يحدعني فكري فقد ظنت أنه سيلمح قبعتي، وأوأمّل أن يسقط الآن في الفخ وكان يسمع خطوات تقرب من الخل الذي كان جائئاً فيه كأنها تقتفي آثار قبعته كأن كراب كان آتياً ليرى خصه قتيلاً.

ولم يكن كارتتر قادراً أن يميز شيئاً في الظلمة ففضل أن يستمر على سكونه ولم يشأ أن يصاب بطلق ناري يجعله هدفاً لنار (نكتالوب).

ولكن يجب أن نؤمن بآلاه خاص للبوليس السري فإن لمعة برق أشد من التي سلفتها أنارت الكهف حتى ظهرت أشجاره وعوسجه ورؤوس صخوره.

فوقف كراب فجأة ووضع يديه على عينيه متألماً لأن النور بهرهما وسكن بدون حراك كأن نار السماء قد أحرقتة.

وللحال وثب البوليس وارتمى عليه، فشعر كراب بدنو خصه فصاح صياح الغضب وقد ارتجف غيظاً لأن نور البرق لم يكن قد اختفى بعد فحاول أن يقابل البوليس، ولكن هذا كان أسرع منه فقبض على فم البارودة قبل أن يطلقها كراب فضاع الطلق في الهواء وسمع له دوي اضطربت له تلك الصخور من أسها.

ولسوء الحظ عادت الظلمة ثانية.

وقام بين الرجلين صراع شديد، وكان اليأس يضاعف قوى كراب وفضلاً عن ذلك فإنه يرى في الظلام بينما كان نكارتر يصادف مشقة شديدة ليقبض على خصه وقد قاتل كراب بحفة النمر فكان يثب ويضرب ويذمجر ولكنه تعب أخيراً فقبض نكارتر

على رقبتة بذراعيه الشديتين، وانفارت التربة التي تحت أقدام الرجلين فجأة لما تخللها من المطر، ففقد كراب الموازنة ولكن البوليس نجأ بوثة وثبأ إلى الوراء من خطر التدرج من رقيقه إلى أعماق النهر.

ولع البرق فأنار تلك الأرجاء، فأبصر نكارتر خصمه متدهوراً في ذلك المنحدر وهو يحاول أن يتمسك بالعوسج فخاب ما حاوله، وسقط المسكين في النهر وقد صرخ هذا الصعس وهو على وشك الهلاك:

فلتكن ملعوناً، فلتكن ملعوناً، إنك لن تظفر بالماسة البتة، البتة، البتة، وطغت عليه مياه النهر فصاح صيحة هائلة حمد لها الدم في عروق نكارتر ثم غاص في الماء.

وبعد بضعة أيام وصل البوليس — وهو الوحيد الذي بقي حياً من العصابة إلى مقاطعة في الأريزونا فيها مكتب للتلغراف، فراسل باتسي الذي كان باقياً في دانفر كما أمره وعلم منه أن دلمار سافر إلى سان فرانسيسكو فأجابه نكارتر تلغرافياً بما يأتي.

سأقبله في سان فرانسيسكو وأطلعته على تفصيل الحوادث أما أنت فيمكنك أن تذهب إلى نيويورك.

وكان نكارتر بعد الواقعة قد جاس الأراضى وسرى نتيجة فعله، ثم عاد يلتبس الجواد فوجده حيث عقله أما سائر المطايا فقد هلكت برصاص المتقاتلين، واستمر البوليس مسافراً على ظهر الجواد حتى وصل أول موقف لسكة الحديد فركبها إلى فرنسيسكو وهو يتهدد تنهد الراحة لأنه وجد أخيراً في غرفة منقنة فيها جميع معدات الراحة والرفاهية.

وفي فرنسيسكو قابل دلمار التاجر الهندي القديم ووضع في يده الماسة الثمينة التي كان يعتقد أنه فقهها إلى الأبد، فكان تأثر التاجر شديداً حتى تعذر عليه النطق بضع دقائق ثم دعا البوليس إلى تناول الطعام وسأله أن يقص عليه الحوادث التي جرت.

فقال نكارتتر:

ليست مهمة جداً — قال ذلك لأنه كان يكره أن يذكر الأعمال الفائقة التي قام بها — ولكنني أقول أنه كان من المستحيل عليّ أن ألقى الماسة لو لم أعرف كيف سرقت
فقال دلمار:

أؤكد لك أني لا أعرف أيهما يسرني أكثر أن تعود الماسة إلى حوزتي أم أن أعرف الأسلوب الخارق الذي سرقت به.

— إن اللغز الذي حير ألبانيا كان بسيطاً للغاية، فكانت مظاهر الصعوبة التي تجلله أشبه بالظاهر التي جللت أركاز بيضة خريستوف كوليبوس.

يجب عليّ أن أقول لك أن كراب كان نكتالوب أي أنه لم يكن يرى في النهار ولكنه في الليل يرى بجلاء وعلى هذا فكان يستحيل عليه أن يرى على النور الكهربائي. ولكنك لما التفت وضغطت الزر فأظلمت الغرفة نظر الماسة تلمع في ذلك الظلام فحفظها ورماها في قده الماء الذي كان أمامه.

ولما شعر أنك ستعيد النور حالاً وضع القده على فمه واذا لم يكن للماسة لون استحال عليك أن تراها في القده.

فصادق دلمار على كلامه وقال:

والأغرب من ذلك أن الماسة كانت تحت يدك عندما كنت تفتش جيوب أصحابك وثيابهم.

وعندما طلب كراب منك أن تناوله قده الماء قبل أن يارح الغرفة قدمت له الكأس والماسة معاً وقلبك منحني للإمانة التي وجهتها لهذا الضعيف أليس كذلك يا مسمو دلمار إن هذا يميت من الضحك.

وانك تذكر جيداً أنه بعد أن تناول الماء كلمته فاقصر على الانحناء أمامك وقد عزوت هذا لانفعاله الشديد من الإهانة حتى وقفت الكلمات على شفتيه آه، آه، آه. وعندما خرج من الغرفة تناول الماسة من فمه ووضعها في جيبه وقد أتى مثل ذلك مراراً في الكوخ حيثما اجتمع عليه صديقه واني أؤكد أن الماسة كانت أمامه في الكأس حين شرعنا بالقتال مع البرابرة، وأذكر أيضاً أنه أفرغ القدح في فمه قبل أن يجلب لي حقيبة الرصاص ولا شك أن الماسة كانت عندئذ في فمه ثم خبأها في الكهف. ولكي أختصر القصة أقول لك أنني خفت خوفاً شديداً لما سقط كراب في النهر من أن تكون الماسة معه فلا يعود في اليد حيلة كما تعلم وأخيراً عزمتم أن لا أبارح الكهف بل أنتظر طلوع النهار وأخيراً بدأت بالتقيب بين الصخرو.

ولم يكن لي مطعم أن أجد جثة كراب فإني لم أقف لها على أثر وبعد أن فحصت الحاجز الصخري وجدت تجويفاً فيه يزدي إلى مغارة وكان في المغارة قوت وغطاء من الصوف وبنديقة ومسدسان وعدة حوائج أخرى.

ولا يقتضي فطنة كبيرة حتى يعرف الإنسان أن هذه المغارة هي محباً حصين وقد انتقامها كراب عند مبارحة الكوخ وأجاد في انتقامها لأن رجلاً فيها يمكنه أن يحارب جيشاً على شرط أن يكون عنده الذخائر الكافية.

وأخذت أنقب في زوايا الكوخ ومكانه ولكن آمالي خابت في أن أجد الماسة فيه إذ لم يلح لي أقل أثر منها وكدت أياس نولاً أنني لحظت في جانب الكهف صخراً على شكل مائدة وفي وسطه تجويف طبيعي صغير مملآن ماء.

أقول تجويف طبيعي ولكن الأمر كان بالعكس لأنه كان من المستحيل أن يتسرب الماء من نفسه إلى ذلك التجويف فكان من الواجب أن تكون يد إنسان قد صبتها فيه فوضعت يدي في هذه الماء توقعت على جسم صلب لا أراه ولكنه كان موجوداً لأنه

كان يقاوم أصابعي والله ذلك السرور الذي شعرت به فإني عندما جذبت ذلك الجسم من الماء كانت الماسة بعينها التي طالما بكيت عليها وحننت إلى استرجاعها، هذا هو حل اللغز.

ثم استلقى نكارتر على مقعده وأغرب في الضحك.

فاستحوذ العجب والدهشة على دلمار وكان يتنازعه عامل السرور باستعادة الماسة وعامل الاحترام لذلك الشجاع النبيل المهذب فهض وطوق عنق البوليس بذراعيه وجد في تقبيله قبلات شديدة أما نكارتر فلم يمانعه في ذلك البتة.

ثم قال دلمار:

إن كراب هذا هو أدمى لص لفته في حياتي أليس كذلك يا مسيو كارتير؟ إنني لا أعرف كيف أعبر عن شكري العظيم.

فتبسم البوليس، ثم استأنف دلمار الكلام فقال:

إن الماسة صارت أعزّ عليّ الآن بعد أن تعرضت لخطر الضياع، ولكنني كنت أود أن أعلم ماذا جرى بكراب.

فقال البوليس وهو يرفع كتفيه — إنني لم آل جهداً في التفتيش عنه فذهبت مساعي أدراج الرياح وأعتقد الآن أنه يرقد بسلام في أعماق هر كولورادو. . . .

وقفة عند يلنر

لمن القصر لا يجيب سؤالي ... أهلات ربوعه أم خوال
مشخر البناء حيث ترأى ... بالياً مجده بلى الأطلال
لم تصبه زلازل الأرض لكن ... قد رمته السماء بالزلزال
وكسته الأيام بالصمت لما ... نطقت فيه حوادث الليالي
فترآءت أبكاره شاحبات ... باقيات بأعين الآصال

أيها القصر ايه بعض جواب ... لا تكن ساكتاً على تسآلي
 ليت شعري والصمت فيك عميق ... ذاكرت أنت عهدهم أم سأل
 ما تداعى منك البناء ولكن ... قد تداعى بناء تلك المعالي
 كنت كل البلاد في الطول والعر ... ض وكل العباد في الأعمال
 كنت مأوى العلى مثار الدنيا ... مهبط العز مصدر الإذلال
 كنت جياً وأيّ جب عميق ... بالغاً للنفوس والأموال
 مورد الخائنين كنت وكانت ... منك تدلى مطامع العمال
 قصر عبد الحميد أنت ولكن ... أين يا قصر أين عرش الجلال
 أين خاقانك الذي كان يدعى ... قاسم الرزق باعث الآجال
 ما أرى اليوم ذلك المجد إلا ... كخيال يمر بعد خيال
 هل وقوفي على مبانيك إلا ... كوقوفي على الطلول البوالي
 قد تخونتنا ثلاثين عاماً ... جنت فيها لنا بكل محال
 تلك أعوام رفعة للأداني ... تلك أعوام خطة للأعالي
 تلك فيما جرت به نقطة سو ... داء تبقى بجهة الأجيال
 ملأت خطة الزمان شناً ... فأبتها كل العصور الخوالي
 يشب العدل طافراً كلما م ... رَّ عليها مشمر الأذبال
 وكأني أرى اضطراب نفوس ... كنت تغتالها وأي اغتيال
 أسمع الآن فيك ما كان يعلو ... من أين لها ومن أعوال
 حائمت على الذي فيك أبقى ... ن دفيناً من الرفات البوالي
 تلك يا قصر أنفست منك ... فطارت إلى سماء المعالي

وترقت إلى ذؤابة أعلى ... كوكب في سمائه جوال
وهي اليوم أحرقتك بشهب ... قذفتها عليك ذات اشتعال
لم يضع مجدها وإن هي أمست ... صناعات الأشلاء والأوصال

* * *

كيف نسي تلك الخطوب اللواتي ... لقحت منك حربها عن حيال
يوم كنا وكان للجهل حكم ... خاذل كل عالم مفضل
أمر من عتوه كل أمر ... يغرس البغض في قلوب الرجال
أفأصبحت نادماً ليها الق ... صر تبالي بالقوم أم لا تبالي
لم تفدك الندامة اليوم شيئاً ... قضي الأمر فاصطر باحتمال
وعزاء فلت أول قصر ... نكس الدهر من ذراه العوالي
قد تداعى من قبل إيوان كسرى ... بعد أن طال شاهقات الجبال
وكاين من قصر ملك ترامى ... ساقطاً بالملوك والإقبال
فابق يا قصر عباس الوجه كيما ... يصبح الملك باسم الآمال
وتعثر فلا لعالك حتى ... ينهض العدل ناشطاً من عقال
إنما نحن أمة تدرأ الضي ... م وتأبى أن تستكين لوال
أمة سادت الأنام وطابت ... عنصراً من أواخر وأوالي
فإذا ما علا الغشوم هضنا ... فقدفناه سافلاً من عال
نحلاً الأرض إن لمشينا لحرب ... بزئير الغضفر الرنبال
وإذا ما غلّ المليك رددنا ... هـ ذليلاً يقاد بالأغلال
نحن من شعلة الجحيم خلقنا ... لأولي الجور لامن الصلصال
ياملوك الأنام ملا اعتبرتم ... بملوك تجور في الأفعال

ليس عبد الحميد فرداً ولكن ... كم لعبد الحميد من أمثال
فاتركوا الناس مطلقين وإلا ... عثتم موثقين بالأوجال
هل جنيتم من التجبر الأ ... كل أثم عليكم ووبال

الأستاذة

معروف الرصافي

تدبير الصحة

اتفق لنا ونحن نعجب بالنبذة التي نشرها لأبي زيد البلخي من أهل القرن الثالث في تدبير الصحة أن عثرنا في المجلة الباريزية على بحث للدكتور هيريكور الفرنسي في هذا المعنى نفسه فرأينا تعريبه ليقابل القراء بين القديم والحديث قال: الصحة أعظم النعم ولا شيء يوازها من سلطة وثروة في جلب الراحة بل ليس من سعادة أعظم مما توليه الصحة، ففي الصحة شعور بطول بقاء المرء مما يقوي المساعد على العمل والإنتاج إلى ما وراء التصور فيزيد في حسن الخلق الذي ينشر السعادة في أطراف صاحبه، والصحة الطبيعية شرط في الصحة الأدبية لأن من سلمت حواسه من العيوب وأطرافه من الفساد يسلم عقله، والصحة الأدبية عبارة عن قواعد من شأنها ضمان صحة الأفراد والمجموع، ولا يظن ظان أن هذه القواعد تزيد في الأنانية بل هي ولأمراء مدرسة مدهشة بث روح الغيرية لأن خلق التضامن يتجلى في أهمي مظاهره في مسائل التدابير الصحية، والتضامن هو المحرر الذي تدور عليه حياة المجتمعات البشرية في المستقبل.

وإننا نشعر بالمسؤولية الأدبية التي تصينا في المسائل الصحية العامة، مثال ذلك أن امرأ إذا كتم مرضاً سارياً ينشأ منه وباء يهلك فيه ألوف من الناس أفليس خليقاً به أن يدرك بأنه إذا باح بالمرض يقاتله هو ومن حوله على حين لو كتمه لأودى به وبغيره

فليس تدبير الصحة والحالة هذه هو تدبير الجسم فقط بل هو تدبير الأخلاق بمجموعها.

يعلما علم منافع الأعضاء أن الجسم آلة لا تبقى على حالة حسنة كما هو الحال في جميع الآلات إلا بالعمل، وعلم الصحة بما فيه من القواعد التي من شأنها حفظ حياة الفرد وحياة الجماعة يعلما أيضاً الطرق التي تضمن لتلك الأداة البشرية أحسن نتائجها وأطول أيامها وكيف يمكن الآباء من إيلاد الأولاد الأقوياء النافعين، فإذا عرفنا من علم الفسيولوجيا كيف أن الفرد هو ابن محيطه فإن العلم يشير إلى تلك النقطة التي يجب على المقتنين أن يوجهوا عنايتهم إليها إذا أحبوا تحقيق أسباب حسن تربية الفرد التي لها اتصال بطبيعة الأرض أكثر من اتصالها بتروخ البذار أي بصحة الأجسام أكثر من صحة التعاليم.

وعلى الجملة فإن علم الصحة (الهيجين) يأمر المرء بالعناية بصحته وصحة الناس ويشير إليه بالعمل ويدله على أسباب العمل الجيد ويصره بعواقب الغرور ومحاطر الشهوات التي يطلب المرء فيها سعادته عبثاً وما هي في الحقيقة إلا سيئة الأثر منهكة للقرى، نعم أن علم حفظ الصحة يمثل الصحة بأنها السعادة الوحيدة الحقيقية ويرهن بأن غلط الفرد يلحق المجموع وأن التكافل لا بد منه.

وإنا بما نورد من النصائح نوجز المبادئ الجوهرية في حفظ الصحة في الفرد والمجموع ونقلن ما يجب العلم به والعمل له من القواعد الأساسية التي نوجهها خاصة لمن كانوا في مقتبل العمر من الشبان والشابات.

القاعدة الأولى — يجب عليك أن تعنى بصحتك لأن صحة الفرد ليست له وحده بل هي للمجتمع ونجاح هذا وقوته منوطان بصحة مجموع من يتألف منهم، فالواجب على المرء أن يعمل بحيث يقدم للمجتمع ما يصيه من الحصة من العمل والإنتاج ومن يهتم

بصحته كان كمن يسعى لإبقاء تلك الآلة التي يملكها كل إنسان للقيام بما يفرض عليه من العمل ويؤدي ما عليه للمجتمع الإنساني، وتختلف عناية المرء بصحته بحسب حاله وشأنه فقد تضطره الحال في بعض الأحيان أن يفادي بصحته حياً بإبقاء صحة المجموع ولذلك كان من الواجب على كل امرئ أن يقوي صحته حتى لا يقف ساعة أمام ما يتحتم عليه بذله عند الاقتضاء.

القاعدة الثانية — اعلم أن العقل القويم بالجسم السليم إن في مجموع تركيب الجسم كما في المجتمع جميع الحواس متكافلة بعضها مع بعض فالدماغ وهو حاسة الفكر والإرادة معرض لعامة الأمراض التي تصيب سائر الحواس كما هو عرضة لجميع النقائص ولذلك قضت الحكمة أن تبذل العناية بذاك المجموع النامي على اختلاف مناحيه ولا سيما إذا كان في إبان نموه، ومتى غني بإحدى الحواس بنوع خاص يستأثرون سائر الحواس بالعناصر المغذية ويظل عمل سائر الأعضاء وتقل تغذيتها فتقطع الموازنة العادية في الصحة ولا تلبث تلك الحاسة المرنة كثيراً أن تصير إلى حال من الاضطراب وتفقد غناها بما يصيبها من البوائق التي تسممها وتضيق عليها وتفلجها وعليه اناقتنى أن يعمل لكل حاسة ما تحتاجه من العناية سواء كان من حيث الفكر أو الحركة.

لا يضر البالغ إلا لم تعط كل حاسة فيه حقها بقدر ما يضر الطفل واليافع لأن أعضاء هذا تكون في بدء أمرها لم تستوف قسطها من الاستحصال من أجل هذا وجب أن تجدد بتدقيق صلات العمل الطبيعي والعمل العقلي ويقتضي للحواس قبل إنتاجها أن تسعد لذلك وإذا تعجل المرء في الإلحاح عليها تفسد وتعطل، فترية الطفل يجب أن تكون باعثة لمجموع الجسم على التقوية لا أن يعجل في استخدامها قبل أوان بلوغها ودماغ الولد لا يكمل إلا بعد حين ولذلك اقتضى أن لا يطلب منه إنتاج شيء قبل

العمل ويكتفي بتلقين الولد العادات والأساليب التي تدر به بعد على العمل، وعلى العكس في العضلات فإنها تقوى بسرعة وكذلك هيكل الجسم فإنه يستحکم في السنين الأولى من الحياة ويقاوم أحسن مقاومة فترى أن يمرن الطفل من سن الخامسة إلى العاشرة ساعة في الأشغال العقلية ومثلها في الأشغال الطبيعية ومن العاشرة إلى الخامسة عشرة ساعتين في الأمور الذهنية وثلاث ساعات في الأعمال العضلية ومن الخامسة عشرة إلى العشرين ثلاث ساعات في الأعمال العقلية وساعتين في الأعمال العضلية، والأخير خاص بالشبان الذين يختصون بالأعمال العقلية والأدبية والعلمية والفنية، ولا بأس في تلك السن بتعليم الأحداث صناعة يدوية إذ إن جمهور الفسيولوجيين على أن مهارة اليد تعمل عملاً نافعاً في جلاء الفكر وتؤثر أحسن تأثير في قوة الإرادة، بيد أن العمل اليدوي يعدل من العمل العقلي بل يكون له عوناً على تربية الفتي تربية عملية نافعة ويتمكن من تحصيل معاشه على كل حال فيكون مثال الرجل الحر المستقل.

القاعدة الثالثة — ليكن جسمك طاهراً نظيفاً على الدوام — للجلد وظائف مهمة للصحة كالرئتين فإنهما للتنفس والكليتين لإفراز السموم التي تبعث من حياة الخلايا المؤلفة منها حواسنا وأنسجتنا فالجلد كالرئة يتنفس ويرشح فبالعرق يفرز الجلد كما تفرز الكليتان مع البول مواد سامة وتنفع الكلى وبالرشح يعدل مزاج الجسم لأن الرشح هو العامل الوحيد في تركيبنا لمقاومة الحرارة شأن آنية يبرد ما فيها بتخثر السائل الذي يرشح إلى سطح الطين ذي المسام، وإذا كان الجلد سطحاً واقياً من الوسط الخارجي والعوامل الطبيعية والجراثيم يجب أن يترك نظيفاً ليحفظ نعومته التي بها يقاوم المؤثرات الخارجية فالجلد الذي لا يعنى به يتخرق ولا يقاوم فعل البرد وتدخل فيه الجراثيم التي تعلق فوق سطحه، وتحسن حالة الجلد بالدلك والغسل

وصب الماء الحار أو البارد على الجسم بحسب مزاج الإنسان والمواسم، وربما لا تطيق بعض الأجسام صب الماء عليها ففي هذه الحالة يجب الاعتدال على ذلك والغسل يومياً لأن ذلك شرط في تدبير صحة الجسم.

القاعدة الرابعة — اقلل من طعامك إن خطر الإفراط في الأكل يضر بنا في الأغلب أكثر من التغذية القليلة فالطعام إذا كثر على المعدة وساء هضمه يوشك أن لا يتحلل بالمضم بدرجة كافية فتهيج به الأحشاء كما لو دخلت عليها مادة غريبة وتحدث ألماً في الأمعاء وإذا بلعت لا يتفع بها إلا قليلاً أي لا تحترق إلا بعض الشيء في داخل الجسم وهذا مثل الموقدة التي يختل تصريفها للدخان تتلى بجميع الفضلات الناشئة من احتلال الوقود، فالحامض البولي وهو أخص هذه الفضلات يسمم الدم أو يهيج الأنسجة التي تحويه فيصبح الأكل إذ ذاك عرضة لوجع المفاصل وغيره من الأمراض، وتكون هذه العوارض على طول الزمن دائمية وقد كان يمكن زوالها وتبدو في شكل تكوين الحصاة أو وجع المفاصل والبول السكري.

فالإفراط في التغذية وعنه يحدث الاضطراب في الهضم يتبعه في الغالب تخمر خارق للعادة في الأحشاء وتبعث منه سموم متنوعة في قناتها ولا يأتي على هذه السموم المبتلعة إلا الكبد ولكنه إذا كثرت عليه وظيفته ينتهي به الأمر أن يعب ويصبح غير كاف بعمله وعندما تحدث سلسلة من الاضطرابات التي تغير ميزانية الصحة والكفاءة للعمل.

القاعدة الخامسة اجعل الماء شرابك العادي الماء هو الشراب الطبيعي ينفع في الهضم وتنقية الدم، ولا شك أن الماء يحوي جراثيم مضرّة وهذه الجراثيم لا تبيد كما يزعم بعضهم بإضافة شيء من الخمر إليها، فإذا اشبه في الماء أو كان ثمة خطر من وباء ينتقل في الماء كالحمى التيفوئيدية والهواء الأصفر، يجب غلي ماء الشفة وماء الاغتسال

ولا يصح أبداً على راووق (مصفاة الماء أو فيلتر) البيت لأنه يستلزم عناية كبرى لا تنهض بها إلا المعامل الكيماوية ويحتاج إلى التطهير والتعقيم مرة في الأسبوع على الأقل، والماء المغلي لا يسوء هضمه فلكي يجعل قابلاً للشرب يتحتم تبريده وهويته ويكفي ترويقه بالنفوير، وإن الأشربة التي تؤخذ على الريق لا تبقى في المعدة بل تساب في الحال إلى الحشا الذي يتلعه حالاً فالأحسن إذن أن يشرب الماء في أول الطعام لا في أواخره وتبقى الأشربة التي لا تقضم في المعدة مع الغذاء ويحل العصارة المعدية ويطن عمل الهضم في المعدة.

القاعدة السادسة — امتنع من تناول الالكحول بتاتاً ليست الكحول غذاء بل هي سم قتال للخلايا العصبية ومرورده على الكبد والكليتين يفسد عناصرها على صورة يتعذر الشفاء مما ينالها وإن جسماً يقوى بالكحول لقليل البقاء إذ يفقد أدوات دفاع الجراثيم الضارة عنه ويكون عرضة لعامة الأمراض الالتهابية التي تشتد عليه أكثر ممن يمتنع عن تناول المسكرات ثم إن أهم الأحشاء تصاب بتلبلل يؤدي بها إلى العقر أو يصاب نسل أولئك السكرين بتشويه في أجسامهم لا يبرؤون منه، فكما قالوا أن الكحول هي مقدمة لداء السل في شاربها كذلك هي مدرجة للأمراض العضال في الكليتين والكبد وإذا ورث ابن السكر نقصاً في جسمه تبلغ به الحال أن يكون جانياً أو مجنوناً، وجميع ما يصاب به أولئك البانسون من تشويه الخلقه والمستيريا وضعف المجموع العصبي والصرع مما يقضون به حياة شقية ناشئ ولا جرم من تسيب دم أبيهم له وتوريثهم هذه الأوصاب.

أما سائر الأشربة المقوية كالقهوة والشاي فليس فيها من ضرر من هذا القبيل وعلى كل فلا بد من الاعتدال فيها وإلا فلا تلبث أن تضر بالأعضاء الهاضمة، ومن الآراء الخرافية ما هو شائع على الألسن من أن القهوة تساعد على الهضم.

القاعدة السابعة — إذا كنت تعمل بعضلاتك اعتمد في طعامك على البقول وأكثر من تناول السكر وإذا كنت تعمل بعقلك فاعتمد في تغذيتك على اللحوم يستلزم العمل بالعضلات طعاماً يكثر فيه الكربون إذ أن العضلات هي أدوات لإنتاج الحركة والقوة تسخن بالفحم فالبقول تحتوي على أطعمة كربونية والسكر هو فحم العضلات التي توفد منه وعلى العكس في الأعمال العقلية فإنما تصرف عناصر آزوتية لا يمكن العويض عليه إلا بتناول مواد ألومينية من اللحم، واللحم النيء يصلح ما يفقده مجموع الجسم من الآزوت أكثر مما يصلح اللحم المطبوخ.

القاعدة الثامنة — للوقاية من البرد أذكر أن قطعة من الورق تعادل معطفاً أو حراماً قد يحدث أن البرد يدهم المرء على حين يكون بلا معطف ولا دثار ومعلوم أن ما يدفن الجسم هو أن تجعل حوله طبقة من الهواء سخنة وهذا الغطاء يجب مضاعفته أو تقليله لأن الهواء كجميع الأغذية هو أسوأ موصل للحرارة ولذلك ليس من المهم أن تكون ألبسة المرء غليظة بل أن تكون كثيرة منضدة بعضها فوق بعض وفي هذه الحال ينتفع بقطعة من الورق كما ينتفع بثوب جيد بالنظر لقلّة ثخانته إذ يجعل طبقة واقية من الهواء وإذا وضعت جريدة تحت الصدر أو تحت الدثار تعادل بما تورث الجسم من الحرارة المعطف أو دثاراً ثانياً.

القاعدة التاسعة — احذر البرودة (الرطوبة) أكثر مما تحذر البرد لا شك أن أخص وظيفة للشوب أن يقي من البرد ولكن الأمراض الناشئة من البرد نادرة جداً على حين أن الأمراض المنبئة من البرودة شديدة وكثيرة فاقضى أن تكون الثياب مانعة من التحمل الفجائي بين البرودة والحرارة أي من البرودة، والثوب الذي يقوم بهذه الغاية هو الصدر من الفلانلا، ومعلوم أن الجسم المتصيب عرقاً معرض للبرودة بالترشح السريع من العرق، والفلانلا تنص إفراز العرق عند حدوثه وتقف حاجزاً دون برودة

الجلد ونتأجه المضرة ويكون ذلك في الصيف والشتاء على حد سواء ثم أن الفلانلا في الحقيقة أنفع في الصيف منها في الشتاء بالنظر لكثرة الرشح من البدن للحرارة الكثيرة وعلى من يلبس الفلانلا أن يعلم بأنه إذا أراد أن يحفظ لها تأثيرها أي خاصيتها في الامتصاص يجب عليه أن يترع في الليل ما لبسه في النهار ويستعوض عنه قميصاً أخف منه، والمروحة على هذا الوجه بين قميص الليل وقميص النهار ضرورية لإبقاء صفات القماش عليه.

القاعدة العاشرة — اعمل بنشاط فالعمل من شروط الصحة — وذلك لأن الجسم الحيواني هو في الواقع آلة تخرج النشاط من طريق الحركة أو من طريق الفكر، ولذلك كانت الآلة التي لا تأتي بالعمل الذي خلقت له لا يتيسر بقاؤها والآلة التي لا تعمل تصدأ والصدأ يسرع في تخريبها أكثر من الابتدال وهكذا فإن جسم الإنسان لا يستقيم شأنه إلا إذا استخدم فيما يراد منه، ويعرف الناس أمثلة كثيرة من أولئك الذين ينقطعون عن العمل قبل الأوان ويتقاعدون في بيوتهم فلا تليث البطالة أن تزدي بهم إلى الهرم فالوت، ومن قضي عليهم من الناس أن يتنازوا بمالهم من ثروة أن يعيشوا بدون أن يعملوا يشعرون مع هذا بالحاجة إلى العمل فيعمدون إلى الرياضات من ركوب الخيل والدراجات وغيرها مما هو في الحقيقة من الصنائع اليدوية يقوم بها أولئك الموهون بها.

القاعدة الحادية عشرة — إذا كنت تعمل بعقلك استرح بأن تعمل بيدك وإذا كنت تعمل بيدك استرح بالعمل بعقلك — لموازنة الصحة علاقة بتوازن القوة على العمل في التركيب الإنساني على اختلاف أعماله، فعلى المشغل بعقله أن يجعل له من وقته حصة للاشتغال بالأمر الطيبة وذلك بأن يخصص كل يوم ساعة أو ساعتين للمشي وعلى من يعمل الأعمال اليدوية أن ينقطع قليلاً للنظر في الأمور الذهنية فيجب عليه

أن يخصص لها مثل هذا الوقت أيضاً، وهذا من الضروريات التي تضمن لمعاطبتها سهولة هذه التربية لمساس الحاجة إليها في نفع الصحة الطبيعية والأخلاقية.

القاعدة الثانية عشرة — اصرف الراحة الأسبوعية في الخلاء — تقضي دواعي المدنية على العاملين من كل طبقة سواء كانوا عاملين بعقولهم أو بأيديهم أن يعودوا من حين إلى آخر إلى الحالة الطبيعية التي يمثلها العيش في الخلاء، فالراحة الأسبوعية التي يمكن أن يقال عنها أنها قانون السلام تمكن صاحبها من الرجوع إلى الحالة الطبيعية على شرط أن لا يصرف المرء وقته في دور التمثيل ولا في الحانات بل يصرفه في تربية الرتين وتلين المفاصل وذلك بأن يعتمد إلى الرياضات البدنية على أنواعها أيضاً كالمشي والركض والقفز والتزحلق على الجليد بحسب سنه وذوقه والفصل الذي يكون فيه من فصول السنة، ويستفيد النساء والفتيان ويلتذون بالألعاب في الهواء الطلق مثل لعبة التيس وركب الزوارق والدراجات.

القاعدة الثالثة عشر — وتم ثمان ساعات — كان من قواعد تدبير الصحة في القديم أن لا يسمح للمرء بأن ينام أكثر من ست ساعات إلى سبع على أنه لا وجه للشبه بين ما يعمله أحد سكان مدينة آثينة في زمن أفلاطون أو أحد سكان رومية في عهد هوراس وبين ما يعمله رجل بيده أو بعقله في القرن العشرين، أما اليوم فإن العامل بذمته أو ببدنه يقتضى له راحة أطول تعوض ما يتوفر عليه من شاق الأعمال ولا سيما في الأطفال والفتيان ممن لا يتم نموهم في الحقيقة إلى نحو الخامسة والعشرين من أعمارهم، ولا يتوهم نموهم أن إطالة الليل في النوم يستلزم تقصير النهار فليس السر في عدد ساعات العمل بل في الصورة التي تعمل فيها فيتها الفكر بعد الراحة المعوضة إلى العمل والحركات تكون دقيقة وسريعة والآراء سليمة واضحة والعمل يتم على وجه

أسرع وأحسن، وماذا يفيد طول مقام المرء في مكبه أو معمله إذا كان يقضيها وهو ساهٍ أو كالحیوان المخدر.

القاعدة الرابعة عشر — لا تدخن ولا تمضغ التبغ — التبغ من النباتات المخدرة للشعور المادي وتسلي أكدار الحياة نسليّة مؤقتة وبذلك يتوهم بعض المشغلين بالأعمال العقلية أن ينشطهم ويعتفهم على العمل على أنه يأتي على شعور المصاعب ويغلب عليها ويلقي حجاباً على الحقيقة ولا يقف تأثيره في الدماغ فقط بل يتناول الأعصاب لأن التبغ سم الأعصاب وهناك عصب يتأثر أكثر من غيره ونعني به القلب وما هو الأعصاب من الأعصاب.

وأن المولعين بالرياضيات والعدو والصراغ وركوب الدراجات والقوراب ليحسنون صنعاً إذا طرحوا عادة التبغ لأنه بفعل ما يعانون من أنواع الرياضات، فيساق المرء بنابل من العادة وقد يعودها بصعوبة بلائى بدء بحيث يحتاج معها إلى إرادة قوية تغلب على كراهة طعم التدخين حتى إذا ألفه يضرّ الذهن ولا سيما في الخلق.

لا شك أن التبغ يثلم الشعور الطبيعي والإحساس الأدبي فيقلل من الضجر والوسواس ويمنع الوجدان الأدبي من الانبعاث، ومن الصعب أن يحكم على مستعمل التبغ بأن له وجداناً طاهراً سليماً وقوة إرادة.

القاعدة الخامسة عشر — يجب الرفق بالأم وهي حامل — تراعى المرأة الحاملة أنواع المراعاة فمنذ تحمل تتجه أعضاؤها كلها إلى تكوين طفلها وكل ما يضر بصحتها يلحق منه ضرر على الرحم وبصده عن نموه العادي وقد تكون المهوم والأحزان والإفراط في العب أصل المشوهات الطبيعية والعقلية التي تنال الطفل منذ ولادته وتعذبه طول حياته، فالواجب إذاً أن يمنع عن المرأة في خلال حملها كل ما يضر بخلقها ويغير صحتها الأم شخص مقدس تحمل في أحشائها مسجّل الإنسانية ورفيها ومتى كان حملها عادياً

يتيسر لها أن تعمل بعض الأعمال غير المحبة إلى آخر الأيام التي تسبق الوضع، وأن ما ينبغي التوقي منه كثيراً معاودتها العمل بعد الوضع حالاً فقلة الراحة بعد الولادة تضر بحواسها الباطنة فينشأ عنها اضطرابات تضعفها مدة حياتها وتضر بها في حملها بعد ذلك فيلزم للنساء راحة تامة لا تقل مدتها عن خمسة عشر يوماً ثم تعاود العمل بالتدريج.

القاعدة السادسة عشر — لبن الأم خالص بابنها — إذا كانت الأم ممتعة بصحتها يجب عليها أن ترضع ابنها فلا شيء أنفع له من لبنها كما أن أعضاء الموضع تضمن صحة الأم لأن الرضاع طبيعي لها ولذلك كانت كل امرأة لا ترضع طفلها نصف أم لا أما كاملة، فإذا عهدت بابنها إلى مريض تجهل أو تتساهل أموراً كثيرة تجب العناية بها لحفظ صحة طفلها ولا يتبه له ويهتم له اهتمامها غيرها ثم أنها تكون في تلك الحال سبباً لإهمال طفل آخر وهو ابن الموضع، وأن طفلاً ترضعه ربيبة هو طفل آخر ربي على الأبريق ذي زمولة (مصاصة) والطفل الذي ترضعه غير أمه تكون أمه قد أرضعت الاثنين رضاعاً غير طبيعي والطفل الذي يرضع من غير ثدي أمه بعيداً عنها يوشك في الغالب أن يموت في سنته الأولى فالأم التي يتيسر لها إرضاع ابنها بذاتها وتدفعه إلى مريض تكفله لها تحت نظرها هي مسؤولة عن هذا الإهمال جملة، والأم التي تبعت بابنها إلى الموضع بدون ضرورة تجرم جرماً اثنين وقد قللك ابنها بصنعها.

القاعدة السابعة عشرة — عليك أن تزن أولادك — ينمو الطفل كثيراً فإذا كانت صحته جيدة يزيد وزنه على الدوام فوزنه المرة بعد المرة أحسن واسطة لإثبات جودة صحته، فالميزان هو ميزان حرارة الصحة ومعدل زيادة الطفل الجيد الصحة والغذية هو أن يزيد في الشهر الأول ٢٥ غراماً وفي الثاني ٢٣ وفي الثالث ٢٢ وفي الرابع ٢٠ وفي الخامس ١٨ وفي السادس ١٧ وفي السابع ١٥ وفي الثامن ١٣ وفي التاسع ١٢ وفي العاشر ١٠ وفي الحادي عشر ٨ وفي الثاني عشر ٧، ويجب أن لا تقضي ثلاثة

أشهر إلا ويوزن الأولاد والفتيان على اختلاف أعمارهم لأن من الأمراض ما يتهددهم في المدن الكبرى مثل السل وكثيراً ما يكفي لحمم الداء أن يعطى المريض راحة وتغذية مناسبة.

القاعدة الثامنة عشرة — يجب لك أن تجعل أولادك المرضى تعزل عن الأصحاء حتى لا ينقلوا إليهم المرض — تكاد تكون جميع أمراض الأولاد أمراضاً معدية كالحميراء والحمى الحصية والجذري وانتفاخ لوزتي الأذنين والحناق وتكاد تبدأ كلها باضطرابات يظن أنها زكام خفيف وهي نزلة أو التهاب في الحلق والحجرة ومجاري الأذن، فإذا ظهر بعض هذا فعلى الأبوين في الحال أن يعزلوا أولادهم وأن لا يبعثوا بهم إلى المدرسة أو إلى أي اجتماع كان وأن يفردوهم وحدهم في الدار، وكم من أناس عدوا بأولادهم المرضى أولاد غيرهم فكانوا بأخذهم المرض من أولادهم قبل أن ينتهوا سبباً لسريان الأمراض التي تصح أوبئة عامة بعد أن كانت مقصورة على بعض الأفراد.

القاعدة التاسعة عشرة — لا تسمح بأن يتعاقب الأولاد — ليس للأولاد ميل طبيعي لأن يتعاقبوا والأبوان هما اللذان يريدانهم على العناق ويسوقانهم إلى هذه العادة فتقبل الأولاد بعضهم بعضاً يحوي مضرات كثيرة بأن ينقل الأمراض السارية وتكون تلك لقاحاً وأي لقاح لسريانها، وقد تقدم أن أكثر الأمراض في الغالب نزلات ووجع في الحجرة والأنف والأذن كالحميراء والحمى الحصية والسعال والحمى ذات البثور وأن الحناق (الدفتيريا) ينتقل بواسطة اللعب عادة وعليه فإن التقييل من العادات الضارة وكم من الأطفال هلكتوا به.

القاعدة العشرون — كل مسكن سليم نافع للصحة إذا استطاعت الشمس أن تدخل إليه والهواء أن يخرج منه — كما أن البيوت تحصر الناس في بقعة من سطح الأرض فهي تقيهم تبدلات الجو والبرد والهواء والمطر والحرارة فالواجب أن يدخل إليها الهواء

والنور فإن الهواء البليل الصافي الذي لم يستنشق ولم تخارجه غازات الوقود من المواقد والمصابيح ولم تشبه شائبة هو من أنفع الأشياء للكبد والتنفس بل هو غذاء الحياة. فغرف العمل أو النوم على حجمها إذا لم يخللها الهواء على الدوام تفسد بأنفاس السكان وغازات الوقود والاستصاح فمن اللازم اللازب أن يتخلل الهواء أي يتجدد على الدوام ويكفي في الصيف فتح الأبواب والنوافذ وفي الشتاء يخشى بعض الناس من البرد فلا يتركون الهواء يتخلل الأمكة فينشأ من ذلك اختناق بطيء ولكنه خطر إن لم يقرب الموت العاجل يهيء السبيل إلى عدة أمراض ولا سيما السل.

وبعد فيجب استشاق الهواء بليلاً أو بارداً ولذلك كانت الآلة ناقلة الحرارة التي تدفئ الهواء من أبشع وسائط التدفئة على حين أن الموقدة التي تدفئ ببروز الأشعة وتجلب هواء من الخارج أحسن الوسائط المنطبقة على حفظ الصحة والمواقد ذات الحرارة البطيئة خطيرة فيجب الامتناع من استعمالها، وليست الشمس أقل لزوماً للصحة من دخول الهواء النقي وما شعاع الشمس إلا باعثة للقوة في الجلد وتغذية الأنسجة والنباتات التي لا تصيها الشمس تدبل وتفقد ألوانها وتصبح بشعة المنظر ولا تلبث أن تموت وكذلك الحال في الحيوان والإنسان وكما تفيد أشعة الشمس النباتات والحيوانات تضر بالنباتات الطفيلية والعفن والجراثيم التي هي واسطة جميع الأمراض وذريعة إلى سريان العدوى وبفضل الشمس نجو من الجراثيم الضارة العابثة بجسومنا وحيث تدخل الشمس لا يدخل المرض والتعرض للهواء والشمس هما من في الحياة.

القاعدة الحادية والعشرون — يجب التوقي من الغبار بالرش لا بالكس بالقمة (المقشة) من ريش — الغبار مضر جداً وذلك لاحتوائه على ذرات كثيرة كلية وآلية وصوانية فيج الغشاء التنفي وتؤذيه وتدعو إلى عدة أمراض كالزلات والدفثيريا وجزء من الغبار مؤلف من براز المصابين بالأمراض فتطو هذه الذرات على الأغشية المخاطية

وتلقحها وتجرحها، فمن أهم قواعد الصحة في البيوت أن يمنع عنها الغبار لا بكنسه بكنسة أو مقمة فإن ذلك الحال ترك الغبار متراكماً في الدار دون أن يمس لأن ضرره يكون واقفاً ولو مؤقتاً من إثارته على تلك الصورة، ولذا اقتضى أن لا يكس وينفض بدون ماء وأن يزال الغبار بمنشف ندية أو فرشيات ومكانس ندية، ويجب جمع الغبار لإبادته لا إثارته لينتقل إلى الجيران.

القاعدة الثانية والعشرون — لا تعمل الستور والبسط والأثاث المزين بالرفارف — وذلك لأنها مانعة من نفوذ الهواء والنور مستتبت للغبار وقد لا تتمكن ربة البيت من نفضها وقويتها وكذلك الورق الملون الذي يجعل على الجدران فإنه عس الجراثيم الضارة وأحسن المساكن التي يصفها رجال الصحة ما كان منها مصقولاً مدهوناً قابلاً للغسل وأحسن الغرف ما كانت مدفقة أو مبلطة وأن يكون أثاثها عبارة عن خشب وجلد لا من قطيفة ومخمل وبسط ورب سجادة حوت من الجراثيم بالغبار الذي عليها ما لا يوجد أضر منه في الشارع نفسه.

القاعدة الثالثة والعشرون — لا تسامح بدخول الحشرات إلى منزلك — الهوام وسائط لنقل الأمراض السارية وتلقيحها فالذباب يقع على القاذورات فإذا كانت قاذورات حميات تيفوئيدية أو وباء (كوليرا) أو سل تنقل أجزاءها في أرجلها إلى الطعام والياب وأغشية من تقع عليهم بعد، والبعوض ينقل في البلاد ذات المستنقعات حيث تشتد الحميات جراثيم من تقرحهم من يكونون مصابين بالحمى وتلقح بما غيرهم من الأصحاء، والبق والبراغيث تفعل بقرصها فعل البعوض بقرصه بالبق تنقل جراثيم حمى التيفوس والتيفوئيد ويخشى أن يكون ناقلاً للسرطان والجذام ومن المحقق أن البراغيث هي التي تلقح جراثيم الطاعون وتنقلها من الجرذان إلى الإنسان، ولا تخلو من أن تنقل جراثيم الحمى التيفوئيدية والسل.

وأقرب الطرق إلى النجاة من هذه الهوام أن يجعل شيء من روح الصمغ على سطح القاذورات في المراحض وأن تصب كمية من البترول على المياه الراكدة فتتموت الهوام الناقلة كالبعوض وغيره وأن تستر النوافذ في الليل بستائر من السلك الرفيع لتمنع البعوض من الدخول وقرص الساكنين وهم نيام وصب شيء من البترول على المحال التي يعيش فيها البق أنفع واسطة للخلاص منه كما أن الماء أنفع ذريعة للنجاة من البراغيث وغسل الحيوانات الأهلية على الدوام حتى لا تنقل البراغيث إلى القائمين على تربيتها.

القاعدة الرابعة والعشرون — اجعل الحيوانات الأهلية في اصطبل — ليست الدار نادي الحيوانات الأهلية كالقطط والكلاب والطيور فإن إيوائها في الدور مضر وناقل للأمراض ولا سيما للسسل والسرطان فالكلب مصاب بالسسل غالباً والمهر بالسرطان والبيغاء ذكورها وإناثها بالتهاب ذات الرئة بل أن الكلب والمهر واسطنان لنقل الحميات ذات الثور كالجدري والقرمزية والحمراء والدفتيريا وأورام الجلد وغيرها من الأمراض المعدية ثم أن الكلب يلحق كل ما يقع أمام عينه وقد يدلله صاحبه وما أنه يدري ينقل الكلب إن لم نقل مرضاً آخر دع عنك ريشه فإنه مستويل الجراثيم ينقلها من السقيم إلى السليم وعليه فالقطط والكلاب الأهلية هي خطر دائم على الصحة العامة.

القاعدة الخامسة والعشرون — اعن بنظافة الشارع كما تعنى بنظافة مكك — نقضي شطراً من حياتنا في الشوارع ولذلك وجب علينا أن نظهرها من الأدناس والأرجاس على أننا نطرح فيها بدون مبالاة الغبار والأوساخ ونفص فيها البسط ومماسح الأرجل وما الكناس إلا واسطة لنقل باسيل الأمراض وهناك قاذورات الكلاب وأخيل وهي سبب لعدة نزلات أذنية وحلقية وكل ذلك مما يتلع منه ساكن

المدن كمية غير قليلة فلو جمع غبار المساكن بوسائط ندية أو أحرقت في النار أو وضعت في ماء يغلي وإذا امتنع المرضى عن البصاق في الشارع ولم يكنس الكناسون إلا بعد الرش كما في بعض البلاد المتقدمة لما أصبح الشارع كما هو الآن مستوبل الأمراض ومحلاً أضر من غرفة في مستشفى.

القاعدة السادسة والعشرون — إذا بصقت على الأرض فكأنك تبصق على جارك — يجب الامتناع عن البصاق في الشارع والمحال العامة والدار وذلك لأن بصاق الرجل السليم من العادات المخالفة للقواعد الفسيولوجية فالواجب نزع هذه العادة أما المسلول فإنه يبصقه ينقل عدواه في الحال إلى غيره وذلك إذا بصق في الشارع لا تلبث بصقته أن تجف فتطير في الهواء ميكروباً فعمله أن لا يبصق حتى في منديل لأنه كلما أخرجته من جيبه يقذف جراثيمه على من أمامه بل عليه أن يسعمل مبصقة يضعها في جيبه هذا هو من الفروض الاجتماعية ومن أوائل قواعد التضامن فمن كان به مرض ولم يسعمل هذه الطريقة فهو مرتكب جناية لا محالة.

القاعدة السابعة والعشرون — إذا كان بك مرض خذ الاحتياطات بذاتك أو بالواسطة لئلا تنقل العدوى إلى من حولك تكاد تكون جميع الأمراض الحادة وكثير من الأمراض المزمنة من الأمراض السارية فإذا رأى كل مريض من واجبه وقاية جاره من نقل جراثيم مرضه إليه لا تلبث معظم الأمراض السارية أن تضمحل، وما من قانون صحي عام ينفع في هذا السبيل بقدر ما تنفع رعاية كل فرد على حدته بصحة من حوله وكل ما تقوم به البلديات من أسباب التطهير قليل جداً في جانب الرقاية التي يجب على المرء نفسه أن يتخذها وكثير من أرباب الأسرات يصابون بمرض سار فيعدون به أولادهم وأزواجهم ومن حولهم بتسامحهم وعدم اتخاذهم الاحتياطات الصحية فيقتلونهم بأيديهم جهلاً وغباوة ومن نظر في تاريخ البيوت يدرك أن الأولاد لا يصابون بالتهاب ام

الدماغ إلا بتساهل آباؤهم فالواجب على المريض أن يسأل الطبيب عن أسباب الوقاية التي يتحتم عليه اتخاذها ويطبقها على نفسه بالفعل.

وأنت يا هذا إذا أصبت ذات يوم بمرض فلا تحمل اللوم على قواعد حفظ الصحة وقلة غناها ولا على ضعف العلم بل إن الذنب في ذلك على أجدادك ومواطنيك.

رحلة إلى جبل قلمون

بعد جبل قلمون بين جبال سورية من أحسنها ماءً وهواءً وإنباتاً ومع هذا لم يشتهر اشتهار جبال لبنان وحرمون والكلية واللكام على قربه من دمشق قاعدة بلاد الشام، وكان يقال له في القديم جبل سنير وبذلك عرفه الجغرافيون والمؤرخون والشعراء، قال ابن خردادبة في المسالك والممالك وهو مما ألف منذ نحو ألف سنة أن كورة دمشق وأقاليمها سهل الغوطة إقليم سنير مدينة بعلبك البقاع إقليم لبنان كورة جندية كورة اطرابلس كورة جليل بيروت صيدا البشنة كورة حوران كورة الجولان وظاهر البلقاء وحوالي الغور وكورة ناب وكورة جبال وكورة الشرا وبصرى وعمان والحاجبية، لإقليم سنير هو من أقرب الأعمال إلى دمشق ولم نظفر له بتحديد أجمع من تحديد ياقوت في معجم البلدان، قال أن سنير بفتح أوله وكسر ثانيه ثم ياء معجمة بائنتين من تحت جبل بين حمص وبعلبك على الطريق وعلى رأسه قلعة سنير وهو الجبل الذي فيه المناخ يمتد غرباً إلى بعلبك ويمتد مشرقاً إلى القريتين وسليمية وهو في شرقي حماة وجبل الجليل مقابله من جهة الساحل وبينهما الفضاء الواسع الذي فيه حمص وحماة وبلاد كثيرة، وهذا جبل كورة قصبها حواريين وهي القريتين ويتصل بلبنان متيامناً حتى يلتحق ببلاد الحزر ويمتد متيامراً إلى المدينة وسنير الذي ذكر أنه بين حمص وبعلبك شعبة منه إلا أنه انفرد بهذا الاسم وقد ذكره عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي فقال من قصيدة:

أسيم ركابي في بلاد غربية ... من العيس لم يسرح بمنه بعير
فقد جهلت حتى أراد خيرها ... بوادي القطين أن يلوح سنير
وكم طلبت ماء الاحص بآمد ... وذلك ظلم للرجال كبير
وقال البحري:

وتعمدت أن تظل ركابي ... بين لبنان طلعاً والسنير

انتهى كلام ياقوت جاء في أبي الفداء أن الجبل الشرقي الممتد شمالي الشام كان يدعى
سنير في عهده وقد ورد سنير في التوراة فقال الدكتور بوست في قاموس الكتاب
المقدس: سنير (درع أو شلالة) اسم قسم من جبل الشيخ (حرمون) (١ أي ٥ : ٢٣)
٢٧ : ٥ (وقال ياقوت في القلمون أنه بفتح أوله وثانيه بوزن قربوس وهو فعلول قال
الفراء وهو اسم وأنشد:

بنفسي حاضر بجنوب حوضي ... وأبيات على القلمون جون

ومن القلمون الذي بدمشق بحري بن عيد الله بن سلمان الطابغي الكلبي من أهل
القلمون من قرية الأفاعي وقال في القاموس قلمون محرّكة موضع بدمشق، التاج أن
القلمون رومية وحروفها أصلية، وكلمة قالا بالرومية طيب ولعله الجبل الطيب أو نحو
ذلك وحوارين التي قال عنها ياقوت أنها القريتين هي قصة جبل سنير وهي كما قال
في مكان آخر حصن من ناحية حمص قال بعضهم:

يا ليلة بحوارين ساهرة ... حتى تكلم في الصبح العصافير

وقال أحمد بن جابر مر خالد بن الوليد في مسيره من العراف إلى الشام بتدمر والقريتين
ثم أتى حوارين من سنير فاغار على مواشي أهلها فقاتلوه وقد جاءهم مدد من أهل
بعلبك ثم أتى مرج راهط وفي كتاب الفتح لأبي حذيفة اسحاق بن بشر وسار خالد

بن الوليد من تدمر حتى مر بالقريتين وهي التي تدعى حوارين وهي من تدمر على مرحلتين وبها مات يزيد بن معاوية في سنة ٦٤ قال الراعي:

أنحن بحوارين في مضمخرة=بيت ضباب من فوقها وثلوج

وقال أيضاً والقريتان قرية كبيرة من أعمال حمص في طريق البرية بينها وبين سحنة وأرك أهلها كلهم نصارى وقال أبو حذيفة في فتوح الشام وسار خالد بن الوليد رضي الله عنه من تدمر إلى القريتين وهي التي تدعى حوارين وبينها وبين تدمر مرحلتان وإياها عنى ابن قيس الرقيات بقوله:

وسرت بغلتي إليك من الشا ... م وحوران دوئها والعوير

وسواء وقريتان وعين ال ... تمر حزن بكل فيه البعير

فاستقت من سجاله بسجال ... ليس فيه من ولا تكدير

وقد سألنا العارفين فأكدوا لنا أن حوارين بعيدة عن القريتين بنحو ثلاث ساعات وآثارها بادية إلى الآن وما نظن أنها كانت قصة جبل سدير فيما مضى إلا في أمورها الإدارية كما نرى اليوم قسماً من جبل قلمون تابع لقضاء دومة الشام والقسم الآخر هو الأعظم تابع لقضاء النك وقسم منه تابع لحمص ويقول الحبيرون من أهل هذا الجبل اليوم أن جبل قلمون يمتد من الدريج إلى البريج وهو تحديد معقول جداً لأنك ترى في الدريج وهي مزرعة في رأس جبل قرب عين الصاحب بين معربا وحلبون سلسلة جبال جديدة تكاد تكون منفصلة بعضها عن بعض وفي البريج وهي على نحو ثلاث ساعات من قارة للقاصد إلى حمص ويمتد شمالاً إلى الجرود على بضع ساعات من بعليك وجنوباً إلى البرية وتجتاز المسافة من الجنوب إلى الشمال لراكب المطايا في يوم كما يقطع طول الجبل من غربه إلى شرقه في يومين، وأوصل بعضهم طول الجبل إلى وادي القرن قرب البقاع، وبدل على أن آخر حدود الجبل هو في البريج من ناحية

حمص ما قاله الاصطخري من أن الطريق من حمص إلى دمشق هو عشر فراسخ من حمص إلى جوسية ثم إلى قارا ثلاثون ميلاً ثم إلى النيك اثنا عشر ميلاً ثم إلى القطيفة عشرون ميلاً ثم إلى دمشق أربعة وعشرون ميلاً، وجوسية كما في المعجم قرية من قرى حمص على ستة فراسخ منها من جهة دمشق بين جبل لبنان وجبل سنير فيها عيون تسقي أكثر ضياعها سيما وهي كورة من كور حمص.

ونقل الدكتور فاندريك في المرآة الموضية نقلاً عن أبي الفداء أنه قال أن سنير هو جبل الشيخ أو قسم منه ولذلك رأينا فاندريك في جغرافيته يذكر بعض أمهات قرى جبل قلمون أو سنير بحسب المقاطعات التي كان معروفاً بها عند الحكومة على عهد تأليفه ولم يذكر أنها من أعمال جبل مشهور فقال: وإلى الشمال من دمشق مقاطعة يقال لها حجة عسال نسبة إلى مكان يقال له عسال الورد لكثرة الورد الذي فيه ومن أشهر قراها صيدنايا وفيها دير لراهبات طائفة الروم وإلى الشمال الشرقي مقاطعة معلولا نسبة إلى قرية فيها حصينة مبنية على قمة هناك لا يسلك إليها إلا من مضيق مستوعر وفيها دير عظيم لطائفة الروم وقد حدث في سنة ١٨٥٠ للمسيح أن أمراء بني الحرفوش أصحاب بعلبك تحصوا بما بعد وقعة جرت لهم مع أجناد دمشق لهجم عليهم عسكر الدولة إلى معلولا بوسيلة من بعض أهلها فقتلوا بعضهم وأسروا بعضاً ونهبوا القرية والدير وحول معلولا عدة من القرى كعين التينة وبنجة وغيرها ولم يزل أهل تلك النواحي يتكلمون باللغة السريانية لكنها محرفة كثيراً عن أصلها كعربية العامة في هذه الأيام وإلى الشمال الشرقي من معلولا مقاطعة يبرود نسبة إلى قرية كبيرة فيها بعض آثار قديمة وفي جوارها رأس العين ومعرة باش كردي وفليطا وسحل والقسطل وإلى الشمال الشرقي من القسطل النيك وما بين النيك والغوطة يسمى الأرض التحتية وهذه الأرض يمر الطريق من دمشق إلى بغداد وفي جوار النيك قارة

وهما أعدل مكانين في تلك الديار حتى يضرب المثل بجودة هوائهما ومائهما وقد لهجت
 هما الشعراء كثيراً قال بعضهم:

إذا هاجت الرمضاء ذكراك بردت ... حشاي كأني بين قارة والنبك

وإلى الشمال الشرقي من النبك دير عطية وقال المحافظ أبو القاسم ومعلولا إقليم من
 نواحي دمشق له قرى وقال ياقوت في منين: قرية في جبل سنير من أعمال الشام وقيل
 من أعمال دمشق منها الشيخ صالح أبو بكر محمد بن رزق الله بن عيد الله قال ياقوت
 وكان من ثقات المسلمين ولم يكن بالشام من يكنى بأبي بكر غيره خوفاً من المصريين
 (الشيعة) توفي سنة ٤٢٦.

فاهم بلاد الجبل يرود وكانت هي والنبك من أمهات بعد مملكة صوبه أو صوبالقدية
 وهذه المملكة كانت في شمالي سورية تمتد من شمالي لبنان الشرقي نحو حمص وحماة
 وحلب وهي قاعدة لجبل ولا يقل سكانها عن عشرة آلاف نكثهم مسيحيون والنكثان
 مسلمون وتكاد تكون أشبه بالمدن منها بالقرى لتوفر مرافق الحياة فيها وكثرة سكانها
 صلاحهم التجارية مع دمشق وبيروت وحمص وحماة وبعليك ولوفرة المهاجرين منها إلى
 أميركا ويبلغ عددهم نحو ألف رجل ومنهم الذين اغتروا في يرود عدة مدارس
 للمسيحيين على اختلاف مذاهبهم منها مدرسة للروم والكاثوليك أنشأها أحد
 أحبارهم منذ زهاء عشر سنين فوهبها ثلثمائة ليرة من ماله وفرض على أبناء طائفته أن
 يشغلوا فيها بأيديهم أيام الآحاد والأعياد فجاءت مدرسة كلفت زهاء ألف وخمسمائة
 ليرة وقد اشتغل بعضهم بنقل التراب وآخر يجلب الحجر وغيره بالبناء، وبأمثال هذه
 المدارس أصبح المسيحيون أرقى من جيرانهم المسلمين لأن الأول يعلمون والآخرين
 مهملون وكانت الحكومة البائدة تزيدهم خبالاً إلى خبالهم وليس لهم من أهل الرأي
 والعلم من يشفق عليهم ويسعى إلى ترفيتهم ترقية حقيقية كما هو حال مواطنهم.

أقول هذا ولا نكران للحق أن ارتقاء المسيحيين عن المسلمين مائل على أشد صورده في هذا الجبل وكيف لا يكون كذلك والارساليات الدينية من الروس والانكليز والفرنسيين لم تكد تترك قرية إلا وأقامت فيها مدرسة لتثقيف عقول أبنائها على منحها بل أن جمع دينة أقامت لها مستشفى في دير عطية البلد الثاني في الجبل بكثرة سكانه واستنجار عمرانه.

ودير عطية هذه هي والبنك (مركز حكومة القضاء) في وادٍ كان يعرف قديماً بذات الذخائر أو وادي الذخائر قال باقوت والبنك قرية مليحة بذات الذخائر بين حمص ودمشق فيها عين باردة في الصيف طيب عذبة يقولون مخرجها من يرود وقال الزاجر:

أتى بك اليوم وأتى منك = ركباً أناخوا مرهناً بالبنك

واطلعت في دير عطية على حجة وقف نقلت حوالي الألف عن حجة كتبت سنة ثمان وسبعمائة للهجرة محفوظة عند كفيف من أهلها اسمه الشيخ عبد القادر الناظر جاء فيها أن الست الجليلة صاحبة خاتون ابنة الأمير الكبير صلاح الدين بن بهلوان ابن الأمير الكبير شمس الدين الأكرعي الآمدي وقفت وحيث وأبدت في صحة منها وسلامة وجواز أمرها جميع الضياخ الخمس المتلاصقات المعروفات بوادي الذخائر عمل دمشق الخروسة وتعرف إحداهن بالبويضا والثانية بباريضا والثالثة بالميرا والرابعة بدير عطية والخامسة بالحمررا وقد صدقت على هذه الوقفية محكمة قارة ولا يعرف اليوم من هذه القرى غير دير عطية والحميرة وفي دير عطية مدرسة للعلوم الدينية واللسانية أنشأها الشيخ عبد القادر القصاب الأزهرى الديرعطاني فتجت منها فوائد جليلة وفيها الآن نحو ٥٠ طالباً وقد تعلم بعض الطلبة فأبانوا عن كفاءة فيما أخذوا لنفسهم بتعلمه.

ومن أهم قرى قلمون الرحية وجيرود وعلى مقربة من هذا البلد ملححة دائرة محيطها اثنا عشر ميلاً وهي في سهل منبسطة ينحدر إليه ماء المطر من ويجتمع على علو يختلف بين ٣٠ و ١٠٠ ستمتر وفي أوائل شهر أيار يتحول ذاك الماء ملحاً أبيض نقياً مرّاً وهذا البلدان من قلمون التحتاني وفيه أيضاً الضمير وفيها عين كبريتية ينفع الاستحمام بها المصابين بالأمراض الجلدية وأرض هذه القرية أو البلد الحارة تبلغ غلاتها قبل سائر قرى الجبل حتى أن الشعير ليحصد فيها في شهر نيسان ويحمل إلى عسال في جرود الجبل الباردة ويزرع في الحال فيحصد في ثور وهذا من أعجب ما يكون في إقليم واحد والمسافة بين الضمير والجرود نحو عشر ساعات.

قال في المعجم ضمير بالتصغير موضع قرب دمشق قيل هو قرية وحصن في آخر حدود دمشق مما يلي السماوة قال عبيد الله بن قيس الرقيات:

أقفرت منهم الفراديس فالغو ... طة ذات القرى وذات الظلال

فضمير فالماطرون فحورا ... ن قفار يسابس الأطلال

نصب الماطرون على أن نونه للجمع وهذه المواضع كلها بدمشق، وقال الخليل:

لئن تركنا ضميراً عن ميامنا ... ليحدثن لمن ودعتهم ندم

وقال الفرزدق يرثي عمر بن عبيد الله بن معمر التميمي وكان قد مات بضمير من دمشق:

يامعشر الناس لا تبكوا على أحد ... بعد الذي بضمير وافق القدر

ما مات مثل أبي حفص للحمة ... ولا لطلب معروف إذا افتقرا

منهن أيام صدق قد منيت لها ... أيام فارس فالأيام من هجرا

يعني قتاله لأبي فديك الحروري

ومن أهم قرى قلمون التعتاني القطيفة وهي مركز مدير ناحية تابعة للنبيك جاء في المعجم أنها قرية دون ثنية العقاب للقاصد إلى دمشق في طرف البرية من ناحية حمص وتية العقاب هي ثنية مشرفة على غوطة دمشق يطؤها القاصد دمشق إلى حمص قال أهل السير أن خالد بن الوليد سار من العراق حتى أتى مرج راهط فاغار على غسان في يوم فصحهم ثم سار إلى الثنية التي تعرف بثنية العقاب المطلة على دمشق فوقف عليها ساعة ناشراً رأيته وهي راية كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم كانت تسمى العقاب علماً لها.

ومن قرى الجبل البديعة قرية معلولا يدخل إليها من الشمال من فج طبعي في الجبل وهي حصنة منيعة ويؤكد بعض العارفين أنها هي مدينة سيلفكيا بعينها إحدى أمهات مملكة سلوقس أحد خلفاء الاسكندر الأربعة الذين اقتسموا مملكته بينهم بعد وفاته فانتشبت الحرب عام ٣٠١ ق. م ودارت الدائرة على الملك اثيوغولس وابنه ديتريوس فاقسم إذ ذاك قواد الاسكندر مملكته إلى أربع ممالك الأولى مصر أخذها بطليموس سوتير مع العرب وجزء من بر الشام أي فلسطين والثانية مكдонية وبلاد اليونان أخذها كاساندر والثالثة ثرافيا وبيسينا وبعض أطراف آسيا الصغرى أخذها ليسيمائوس والرابعة بقية الممالك من البحر الأسود إلى نهر لاندوس في الهند أخذها سلوقس وسميت مملكة سورية ومن أشهر مدنها أنطاكية وسلوسية واناحية واللاذقية، ولا يزال إلى اليوم يعثر في بيادرها على آثار تدل على عمارتها القديم الفخيم، وأهلها وهم نحو ثلاثة آلاف يتكلمون بالسريانية الخرفة كما تقدم وفي جوار معلولا نجعا وجبعدين وأهلها أيضاً يتكلمون بهذه اللغة كما أن أهل قلدون يتكلمون بالتركية الخرفة قليلاً ويقال أن أصلهم من التركمان نزلوا هذه القرية منذ سنين واختلطوا بأهل الجبل، وكان بالقرب من قلدون ثلاث مزارع يتكلم أهلها بالتركية أيضاً وهي دنحا

وخربوشة والكنيسة إلا أنما دثرت، وعلى مقربة من معلولا قرية عين التينة وكان أهلها كما يقول جبرائيل نصارى يعاقبة دانوا كلهم بالإسلام منذ زهاء قرنين وقلبوا الأوضاع المسيحية بأوضاع إسلامية حتى لقم يطلقون على بيت الحوري بيت الحوري بالإهمال وفي هذه القرية شجر الفستق القديم ولا يزال ينقرض لأن أهلها لا يجددون غرسه وهذه القرية هي الوحيدة في قرى ولاية سورية التي تخرج الفستق وهو من أحسن الأنواع لا يكاد يضاهيه بجودته فستق روم قلعة من أعمال حلب.

طفت هذا الشهر أمهات قرى قلمون وكت زرقا منذ عشر سنين فرأيت عليها مسحة من الارتقاء أتها في الغالب من المال الذي جناه من أميركا المهاجرون من القلمونيين ففي قرية معرة صيدنايا وصيدنايا وبيروود ودير عطية مثلاً بيوت جميلة أقيمت بالحجر الصلد النحيت مثل بيوت لبنان الجديدة ومن البيوت ما كلفت ألفي ليرة وربما أكثر أما سائر معالم الجبل فظلت على حالها أو ارتقت بعض الشيء بطبيعة الزمن، وقد اشترك في الهجرة إلى أميركا سكان الجبل من المسلمين والمسيحيين إلا أن عدد هؤلاء أكثر والناجحين منهم أوفر ويقدر عدد المهاجرين من الجبل بنحو أربعة آلاف رجل نجح منهم في الأكثر من اعتادوا شطف العيش مثل مهاجري دير عطية والنبك وصيدنايا والمعرة ومعلولا وقارة أما المترفون أو الذين اعتادوا الترف قليلاً فأخفق معهم وانقطعوا أو كادوا لقلّة ذات أيديهم، ولا يعلم على وجه الصحة ما يبعث به المهاجرون القلمونيون من النقود كل سنة إذ ليس ثمة إحصاء مدقق وغاية ما يقال ومنه يستتج ما يقرب من الحقيقة أن معدل عدد الرسائل التي ترد من المهاجرين كل سنة إلى أهلهم في الجبل يبلغ ثمانمائة رسالة، هذا في القرى التابعة لقضاء النبك وهي مركز الجبل ومزدحم الأقدام وفيه من القرى ٢٨ قرية و ١٢ مزرعة، وباقي قرى الجبل وهي ١٣ قرية تابعة لقضاء دومه فإذا فرضنا أنه يأتي من المهاجرين في

السنة ألف رسالة وهو أقل تعديل ولا يكتب لأهله إلا الناجح منهم في العادة ويرسل كل واحد ثلاثين ليرة فيكون معدل ما يصل من النقود إلى قلمون ثلاثين ألف ليرة، وهو مبلغ لا يمتخف به بالنسبة لفقر الجبل ولو كان هذا المال يأتيه مع توفر العناية بالزراعة وتربية المواشي وغرس الأشجار والغابات لكان الجبل من أعمر جبال العالم.

ويبلغ عدد نفوس الجبل بإحصاء الحكومة ٥٨١٢٧ نسمة بين ذكور وإناث منهم ٤٥٥٧٤ في القرى التابعة لقضاء النيك اليوم و ١٢٥٥٣ في القرى التابعة لدومة وعدد المسلمين في قضاء النيك ٤٠٦٦٠ وعدد الروم الارثوذكس ١٥١٥ وعدد الروم الكاثوليك ٢٩٢٠ وعدد السريان الكاثوليك ٣٩٩ وعدد البروتستانت ٩٠ وربما بلغ عدد المسيحيين في الثلاث عشرة قرية التابعة لقضاء دومة ٢٥٠٠ نسمة.

وبلغت أعشار القرى التابعة للنيك هذه السنة ١٤٤٣١٧٥ غرشاً وأعشار القرى والضمير وقارة والنيك ودير عطية ومعلولا وأهم قرى القضاء الثاني التل ومنين وحلبون وتلفيتا وصيدنايا ومعرة صيدنايا وباقيها مزارع أو أشبه بها.

ويقسمون قلمون بحسب موقع الطبيعي إلى قسمين فرتي وتحتي فمن قرى الفرقي أو الفوقاني رتكوس وحوش عرب وهي تعلو عن سطح البحر ١٧٧٠ متراً وعسال وطفيل والجبة ومعرة باش وفليطا والسحل وقارة وعرسال ودير عطية والنيك وبخا ورأس العين وبيروود وحبعدين ومن التحية النواني وعكوبر وبدا وحفير الفوقا وحفير التحتا وحلة ومعلولا والقسطل وعين التينة والقטיפفة والمعظمية وجرود والرحبية والضمير ومعرونة وتلفيتا وصيدنايا ومعرة صيدنايا والتل ومنين وحزنة ومعطلة والدريج ومعربا وحبون وهي التي تخزن الثلج في الربيع في جردها وتأتي به كل ما يولئ دمشق وتشاركها في بيع الثلج قريتا اوفرة أو قفرة وقرية منين.

وتعد زراعة قلمون من الدرجة الثالثة ولو توطدت دعائم الأمن فيه لاستطاع أهل القرى القريبة من البرية للشرق أن يزرعوا تلك السهول الفيحة وينتفعوا بالمراعي البعيدة عن القرى ساعات، وأكد لي العارفون بأن الأمن إذا استقر في نصابه وأمن القضاء من غارة أشقياء العرب والدروز على المواشي والزررع تكثر مواشيه كثرة زائدة ويغتنى الفلاح والحكومة فقد نهب العرب والدروز منذ نحو سبع سنين زهاء مئة وخمسين ألف رأس من الغنم والماعز لو سلمت لأربابها لكانت بلغت الآن على أقل تعديل مليون رأس ومعدل ربح الرأس مئة قرش هذا عدا ما هو موجود اليوم من مواشي الجبل.

وليس مثل جرود قلمون في الصيف لرعي المواشي ومثل سهولها الشرقية في الشتاء وألبان قطعانها من أدمس ما ذاق الذائقون، ولو تمت أمنية الفلاح القلموني بانتشار الأمن في شعابه وهضابه في الفصول الأربعة لربح الفلاح كل سنة القرش قرشين من ماشيته فقط ومن كانت عند المئة يجني المئين ومن ملك الألف جاءته ألفان، ويرى الخيرون بأنه لا سبيل إلى تقرير الأمن في قلمون إلا بوضع أربع مخافر الأولى في الضمير والثانية في الناصرية والثالثة في الحميرة والرابعة في القريتين وأن يجعل في كل واحدة منها — وفي بعضها قلاع لإيواء الجند — خمسة وعشرون جندياً نظامياً فارساً (مفرزة) وبذلك يهرب أشقياء عرب البادية بأس الحكومة ويكفون عن السطو على ضعاف الأهليين كلما اعتبلوا الغرة.

ولا تجد في قلمون غابات كأكثر جبال العالم بل هو جبل أجرد أقرع ولو صحت عزيمة سكانه لأكثروا من زرع التين والكرم واللوز والجوز في الأراضي القريبة من القرى ومن السنديان والبلوط في النجاد والشعاب، والظاهر أن فأس الحطاب وأسنان الماشية

اتفقت زمناً طويلاً على تجريد الجبل من أشجاره وغاباته فلا تجد الشجر إلا قرب القرى وقد تمشي الساعات ولا تجد أثراً للزرع ولا للشجر.
قال أحد الأجانب من زاروا هذا الجبل مؤخراً كنت أفتنى في حياتي أن أشاهد جبلاً أجرد من الكأ والشجر فما قد قرت عيني في قلمون بمشاهدة ما كنت أريده من الجبال الجرداء أما ابن سورية فيتمنى لو قرت عينه برؤية جباله شجراً ذات غابات غيباء.

ولست مياه قلمون شحيحة عزيزة بل هي عذبة غزيرة كأحسن البلاد الجبلية ولكن منها ما يحتاج للإنباض وللعهد والعناية وإذا توفر الأهلون وساعدتهم الحكومة قليلاً على توفير مياههم تزيد كميتها بحفر العيون والأقنية والانتفاع بالمياه والسيول حتى لا تضع منها نقطة بلا فائدة، ومن هذه العيون ما يشفي الأوصاب ويقوي الأجسام ويساعد على هضم الطعام وأطيبها ما قرب من جرود الجبل حيث يكثر نزول الثلوج وتبقى كل سنة ستة أشهر متراكمة في النجاد والوهاد وأبشع مياه الجبل طعماً في معرونة وهي جمع من ماء الشتاء ولكن طعمها أشبه بالملح الانكليزي بيد أنها إذا ثقلت في الطعم فلا تثقل على الهضم.

وقد بحثنا في بعض قرى الجبل عن آثار حجرية مكتوبة أو كتب مخطوطة علنا نقع فيها على مواد تاريخية ينتفع بها فخاب سعينا إذ شاهدنا معظم أديار الجبل لا يعرف أهلها من التاريخ إلا تقاليد يتناقلونها بالأفواه وهي لا تساوي شيئاً إذا وضعت على محك النقد وإذا كانت الأديار خالية من مثل هذا فاحر بأن تكون سائر المعاهد أخلى فدير سيدنا لراهبان الروم هو بحسب ما شاهدنا من أقدم أديار الجبل وليس فيه تاريخ الدير نفسه وقيل لنا أن أهل الدير حرقوا باختيارهم منذ نحو قرن كتباً سريانية كثيرة ولو أبقوا عليها لما خلت من فوائد كان القائمون عليها يحرقونها أو يخافون منها إذ

ذاك وهي أنفع ما يكون للتاريخ اليوم وغاية ما فيه الآن كتاب نسخه إحدى راهبات الدير سنة ١٨٨٧ م واسمها تقلا غزال ولم تذكر شيئاً عن الأصل الذي نقلت عنه وهو حديث أيضاً ويفهم من مقدمته وفيه شرح تقاليد كثيرة معلقة بدير صيدنايا إن هذا الدير بني على يد يوستيانوس الكبير ملك الروم في السن الخامسة والعشرين من ملكه سنة ٥٥٣ للميلاد وذلك عند مروره في تلك البقعة فاختارها لإقامة هذا الدير ليجعل محطة لها صدي بيت المقدس من أهل القسطنطينية وغيرهم وفي هذا الكتاب أمور تعلق بتجلي السيدة العذراء عليها السلام ليوستيانوس حتى بني دير وهو مثل ما يقوله المسلمون عن بعض معامدهم، وهذه التقاليد لا يتق فيها التاريخ ولا تطبق على العقل ويأخذها المعتقدون بالتسليم دون أعمال النظر فيها على أن الإحساس الديني تجب مراعاته مهما كان وحقائق العلوم العصرية هي التي تمحو وتثبت.

وفي الجبل أديار غير العامرة الآن في قارة وبيروود ومعلولا قد أصبحت مأوى لليوم مثل دير مار شبريين ودير مار توما بالقرب من صيدنايا كما تجد كثيراً من النواويس (مقبور) محفورة في الجبال، ومنها ما رأيته في منين وعين الصاحب ومعلولا.

والجبل إلا قليلاً متشابه بعمرانه ولكنه مختلف بميثاق سكانه ولهجاتهم فلكل قرية لهجة خاصة بها وسحنة يعرف بها أهلها فأهل معلولا لا يشبهون أهل عين التينة وأهل يبرود لا شبه بينهم وبين أهل الرحية، والظاهر من سحنات القلمونيين أن منهم اليعاقبة والسريان ومنهم الروم والتركمان ومنهم العرب فاختلفت لهجاتهم باختلاف أصولهم وإن كان تركيب بعض أسماء قراهم متشابهاً مثل يبرود وجبرود ومعرة ومعرونة وعسال وعرسال وجبة وجعدين وفليطا وتلفيتا، وتلفيتا هذه هي التي قال فيها صاحب المعجم أنها كانت بلد قسام الحارثي من بني الحارث بن كعب باليمن الخلب على دمشق في أيام الطائع وكان في أول عمره ينقل التراب على الدواب ثم اتصل

برجل يعرف بأحمد الحطار من أحداث دمشق وكان من حزبه ثم غلب على دمشق مدة فلم يكن للولاة معه أمر واستبد بملكها إلى أن قام من مصر يلكتين التركي فغلب قساماً ودخل دمشق لثلاث عشرة ليلة بقيت من محرم سنة ٣٧٦ فاستر أياماً ثم استأمن إلى يلكتين فقيده وحمله إلى مصر فعفا عنه وأطلقه.

ومن صنائع جبل قلمون وبعبارة ثانية بعض قراد مثل التل وحلبون وبيروود ومعلولا البسفي فإنه تعمل فيها بسط غليظة ولكنها مينة يستعملها أهل الجبل والمجاورون لهم من سكان القرى كما يمكن الخام الجيد في هذه القرى، ولا جمال على صنائعها ولكنها مينة جداً ورخيصة وقد لا يربح العامل قرشين في فهاره ومع هذا يجد نفسه سعيداً بهذا المقدار الطفيف.

وهواء الجبل معتدل جداً وهو أنفع لأكثر الأجسام من هواء لبنان الليل لقرب ذلك من البحر يورث النفوس نشاطاً ومضاءً وإن الذكاء الفطري يغلب على سكانه وتساوى في ذلك سكان جروده وسهوله وقراه ومزارعه وإسلامه ونصاراه ولو سعت الحكومة بجد لإصلاح طرقه ومواصلاته والخطب فيها سهل جداً لكثرة اختلاف المصطافين إليه وخصوصاً سكان دمشق لأن قلمون منها بمنزلة لبنان من بيروت والطرق فيه عامرة بطبيعتها مثل طريق صيدنايا إلى معلولا وطوله خمس ساعات ونصف وطريق معلولا إلى بيروود وطوله ثلاث ساعات وطريق بيروود فالنك فدير عطية فقارة وهذا الطريق على طوله لو صرف عليه بضع مئات من الليرات لسارت عليه المركبات كما تسير على أحسن الطرق المعدة ولكن الحكومة في الدور الاستبدادي كانت لا تحسن من الإدارة إلا أن تسلب نعمة الفلاحين بطرقها المعروفة من تكثير الضرائب والعبور والرسوم وإرهاق الفقير بالإعانات الكثيرة ولعل دولة الدستور تقوى في أقرب وقت فتجعل من مالها ووقتها نصيباً تصرفه في ترقية البلاد

فتستعيده بعد سنين أضعافاً مضاعفة من أهلها وقد كانت حكومة الاستبداد ترى أن غناها بإفقار الأهالي فالواجب على حكومة الدستور أن تعتقد أن غناها من غناهم وسعادتها بسعادتهم.

وان جيلاً كقلمون وهو جزء صغير من ولاية سورية وجزء أصغر من هذه المملكة العثمانية إذا حسنت إدارته ونظرت حكومته في عمرانه ليخرج من الخيرات ما لا يخرج مثله الجبل الأسود ذوالبند والعلم وصاحب الملك والوزراء، وكيف يعمر مثل قلمون إذا كان ولاية دمشق يقضون بما لاسنين الطويلة ولا يزورون معاهده ويفقدون حالة أهله بل أن القائمين الذين طالما تناوبوا الحكم عليه لا يهتمهم إلا قبض رواتبهم وأخذ ما يريدون أخذه من الأهالي وإذا طافوا بعض قراد فللترمة والتناس الصحة والراحة لا لرفع ظلامه وإقامة عدل وتحسين حال ويعتمدون في أمورها على مشايخ معظمهم على غير علم كانوا ولم يزالوا عون كل ظالم والسعيد منهم من كان الجهل أغلب على قريته ليسوغ له أن يحكم فيهم حكماً قره قوشياً ولا أغالي إذا قلت اليوم أن أهل قلمون لم يلقحهم حتى الآن رشاشة من نعمة الدستور على قريهم من الحواضر ولولا بضيض نور يتألاً في عقول بعض أهل القرى التي يكثر فيها المصحون والمدارس والهجرة لكان قلمون كما كان منذ مئات من السنين.

وهنا رأينا أن نختتم هذا الفصل بقصيدة للأمير عبد القادر الحسيني الجزائري قالها وقد سأله بعض الفرنسيين أي العيش أطيب عيش الخلاء والبداوة أم عيش المدن والحضارة وقد كنا نردد أكثر أبياتنا في رحلتنا وأكثرها مما يصدق عليها لمناسبتها مع الحالة التي كنا عليها في الجبل من الصحة وفراغ البال قال رحمه الله:

يا عاذراً لامرئ قد هام في الحضرة ... وعاذلاً تحب البدو والقفر

لا تدعن بيوتاً خف محلها ... وتمدحن بيوت الطين والحجر

لو كنت تعلم ما في البدو تعذريني ... لكن جهلت وكم في الجهل من ضرر
لو كنت أصبحت في الصحرا تمر على ... بساط رمل به الحصاء كالدرر
أو جلت في روضة قد راق منظرها ... بكل لون جميل طيب عطر
تستنشقن نسيماً طاب متشفاً ... يزيد في الروح لم يمرر على قدر
أو كنت في صبح ليل هاج هاتته ... علوت في مرتب أوجلت بالنظر
رأيت في كل وجه من بسانطها ... سرباً من الوحش يرعى أطيب الشجر
فياها وقفه لم تبق من حزن ... في قلب مضى ولا كدأً لذي ضجر
نباكر الصيد عند الفجر نبغته ... فالصيد منا مدى الأوقات في ذعر
فكم ظلمنا ظليماً مع نعمته ... وإن يكن طائراً في الجو كالصقر
يوم الرحيل إذا شدت هوادجنا ... شقائق عمها مرن من المطر
فيها العذارى وفيها قد جعلن كوى ... مرقعات بأحداق من الحور
تمشي الحدأة لها من خلفها زجل ... أشهى من الناي والسنطير والوتر
ونحن فوق جياذ الخيل نركضها ... ثليلها زينة الأكفال والحصر
نطارد الوحش والغزلان فلدحتها ... على البعاد وما تجو من الضمر
نروح للحي ليلاً بعد ما نزلوا ... منازل ما بها لطح من الوضر
تراها المسك بل أنقى وجديها ... صوب الغمام بالآصال والبكر
نلقى الخيام وقد صفت بما فعدت ... مثل السماء زمت بالأنجم الزهر
قال الأولى قد مضوا قولاً وصدفه ... نقل وعقل وما للحق من غير
الحسن يظهر في شئين رونقه ... بيت من الشعر أو بيت من الشعر
أنعامنا أن أتت عند العشي تحمل ... أصواتها كدوي الرعد بالسحر
سفائن البر بل أنقى لراكبها ... سفائن البحر كم فيها من الخطر

لنا المهاري وما للريم سرعتها ... بها وبالخيل نلنا كل مفتخر
 فحينما دائماً للحرب مسرحة ... من استغاث بنا بشره بالظفر
 نحن الملوك فلا تعدل بنا أحداً ... وأي عيش لمن قد بات في خفر
 لا نحمل الضيم من جار فتركه ... وأرضه وجميع العز في السفر
 وإن أساء علينا الجار عشرته ... نبين عنه بلا ضر ولا ضرر
 تبيت نار القرى تبدو لطارقنا ... فيها المداواة من جوع ومن خصر
 عدونا ماله ملجأ ولا وزر ... وعندنا عادات السبق والظفر
 شرابنا من حليب لا يخالطه ... ماء وليس حليب النوق كالقبر
 أمoral أعدائنا في كل آونة ... نقضي بقسستها بالعدل والقدر
 ما في البداوة من عيب تلم به ... إلا المروعة والإحسان بالبدر
 وصحة الجسم فيها غير خافية ... والعيب والداء مقصور على الحضرة
 من لم يمت عندنا بالطعن عاش مدى ... فحن أطول خلق الله في العمر

سير العلم والاجتماع

العاملات في الافرنج

يزيد عدد العاملات من النساء في بلاد الغرب كلما صعب استحصال القوت وكثرت
 مطالب الحياة فقد بلغ عددهن في أميركا ٥٠٠٧٠٦٩ امرأة ذات صنعة منهن
 ٩٧٨٠٠ مزوجة ومن تلك العاملات ١٨٥ بيطارة و ٤٥ وقادة في القاطرات وقد
 زاد عدد المحاميات من ٢٠٨ إلى ١٠١٠ وعدد المستمليات (ستينوغراف) ٣٠٥ في
 المئة وعدد المهندسات ٢١٧ في المئة وعدد البشرات ١٩٧ في المائة وعدد خازنات
 الكتب ١١٦ في المئة.

وبلغ عدد النساء العاملات في فرنسا ٦٠٢٩٧٠٧ منهن الطبيات والأديبات وفيهن ٤٣٢٠ مصورة ونقاشة و ٤٤١٥ موسيقية و ٤٥٠٠ قابلة و ٤٠٠٠٠ يصنعن أزياء و ١٠٠٠٠٠ معلمة و ١٢٠٠٠٠ مستخدمة في الإدارات و ٢٦٠٠٠٠٠ مستخدمات في المجال التجارية و ٧٠٠٠٠٠٠ عاملة في المعامل و ٨٢٠٠٠٠٠ خادمة و ٩٠٠٠٠٠٠ تعمل بأشغال الإبرة وزهاء ثلاثة ملايين يعملن في الحقول، وتتخب النساء في المجالس النيابية في فنلندا وسويسرا ويحاولن الآن في أكثر الأصقاع الأوروبية أن يشاركن الرجل في هذه المهام، وللنساء حق الانتخاب في زيلندا الجديدة وأستراليا.

صناديق التوفير

سقت انكلترا غيرها من ممالك أوروبا في إيجاد صناديق للتوفير في إدارات البريد فانتفع بها الفقراء أي انتفاع في اقتصاد دربهما لتكون لهم بعد رؤوس أموال وحدث حدودها في ذلك فرنسا والنمسا وإيطاليا والبلجيك وهولاندا والسويد وفنلندا وبلغاريا وروسيا وسويسرا، وهذه المعاهد لا تسهل على الناس الاقتصاد فقط بل هي مصارف حقيقية للأمة تدير شؤونها الحكومة فيتأتى لكل فرد في انكلترا أن يدفع في السنة لأحد فروع صندوق التوفير من فرنك إلى ١٢٠٠ فرنك وأن يتناول منه ما يريد على أن لا يتجاوز ما يأخذه ٢٥ فرنكاً، ولهم طريقة في التسهيل على من يريد الاقتصاد ولا تكاد تخلو قرية من فرع لهذه الإدارة فقد بلغ ما دخل صناديق التوفير في برد انكلترا سنة ١٩٠٥ ٣٧٤١٩٣٤٠٠٠ فرنكاً وضعت في ٧٨٨٤ فرعاً وبلغ عدد أربابها ٤٥٧٧٣٩٠ شخصاً وبلغ عدد مثل هذه الصناديق في إيطاليا ٥٩٣١ دفع لها ٥٢٨٣٠٠٣

أشخاص ٩٨٣ مليون ليرة وعدد المقتصدين على تلك الصورة في هولاندا ١١٨٤٣١٦ شخصاً دفعوا ١٢٩٩٢٩٥٧٤ فلورينياً وعدد الصناديق في النمسا ٦٤٧٩ اشترك فيها ٢٠٠٤٤٨٧ شخصاً دفعوا ٢١٨ مليون كورون، وقد بلغ مجموع المودع في صناديق البريد بمصر في تلك السنة ذاتها ٢٣٦٠٠٠ ج. م وصار في السنة التي تليها ٣٢٥٠٠٠ وعدد المودعين ٤٣٤٢٤ نفساً فزاد حتى بلغ ٥٩٠٨٤ وليس في المملكة العثمانية صناديق وفر كهذه.

سكة حديدية بالترول

أدخلت شركة شمالي أميركا طريقة استعمال زيت التترول لتسير القطارات بدلاً من الفحم الحجري واتخذت لذلك مركبات وقاطرات خاصة بحيث لا يتجاوز محمولها ٢٥ طناً أما المحرك فهو أفقي الشكل وقوته ٢٠٠ حصان ويقطع ٣٣ كيلومتراً بدون اهتزاز ويمكن إيقافه بأسرع ما يمكن وهو من غير القطارات في الصعود إلى النجاد العالية وربما قطع بعد مدة ٤٠ كيلومتراً في الساعة.

شركات التلفون

بعد مدة تم في مدينة الاستانة وكثير من قواعد البلاد العثمانية خطوط تلفونية كساتر البلاد الراقية وقد أحصى العارفون أنه يشترك كل ١٦ ساكناً في الولايات المتحدة بالتلفون وفي السويد لكل ٤٥ ساكناً اشترك بالتلفون ولكل ٥٠ شخصاً في الدانمارك ولكل ٥٤ في سويسرا ولكل ١٠٠ في ألمانيا ولكل ١٤٣ في انكلترا ولكل ٣٦٤ في فرنسا.

فتمت تكون المملكة العثمانية بخطوطها التلفونية كأدى ممالك أوروبا فيها قيمة الاشتراك السنوي بالتلفون هو خمس ليرات في سويسرا وتتر إلى ٤٠ فرنكاً في السنة

الرابعة للاشتراك وفي إيطاليا ٧٥٠ فرنكاً وفي ألمانيا ٨٥٠ ماركاً وفي النمسا ٢٠٠ فرنك وفي بروكسل ٢٥٠ فرنكاً ومثلها في مصر.

العاويز

نشر المسير انطوان كاباتون من علماء المشرقيات في مجلة العالم الإسلامي مقالة في العاويز عند الشعوب ولا سيما التي دانت بالإسلام جاء فيها من البحث التاريخي ما تعريبه: الظاهر أن العاويز قديمة كالضعف والخوف المتحكمين في الإنسان أمام قوى الطبيعة، فتراه يضعف عن أن يجاهد بنفسه في تحمل الآلام المعنوية والطبيعية على اختلاف مظاهرها كالمرض والحزن والخراب يتدرع بما يعدها عنه أو يقيه شرها بواسطة كلمات أو إشارات أو أشياء يعزو إليها قدرة واقية فوق الطبيعة ومن هذه الغريزة المنبعثة من سرعة التصديق وحب الدفاع عن النفس نشأ في الغالب استعمال العاويز في كل مصر وعصر منذ زمن الطاويين على عهد قدماء الفرس والابارجيين في كاليدونيا الجديدة إلى الكركريين من زنوج إفريقية الوسطى، ولا تنس العاويز المسعملة عند المحدثين من أهل الغرب التي يحملون بها أذرعهم.

وأغلب الآراء على أن جميع أنواع الحلبي والزينة كانت بادئ بدء عبارة عن تعويذة فتتخذ تارة من عصائب أو من أوراق مربعة أو من جلد كتبت عليه كلمات أو رسمت عليه أشكال ورسوم أو أعداد لها في نظرهم فضيلة خاصة أوسور من كتب مقدسة كما تتخذ طوراً من الأحجار الكريمة أو الأحجار الغريبة الشكل والأصل أو من النباتات والجدوع والشعر والوبر والعظم والأظافر والأسنان أو تصنع من مواد كلسية علامة على حيوانات معينة أو من أقراط وأسورة وتماثيل من المعدن أو الحجر أو الخشب أو من الحلبي والجرار أو كرات الذهب أو الفضة أو الرخام أو صفائح

المعدن أو من حرق الأقمشة أو من جلود الحيوانات يزعمون أن لنقشها ورقشها
خاصية الوقاية.

ويدعون أن تأثير العويذة ناشئ من كيفية حملها وأنها تنفع الحيوان كما تنفع الإنسان
وهي وقاية للقطيع كما هي وقاية الراعي وتساعد في النوم كما تساعد في اليقظة وفي
عقد البيوع كما في الأمراض الطارئة.

ولئن عم اسعمال التعاويذ بما في فطرة الناس كلهم من المذاجة والجن فالظاهر أنها
نشأت من الشرق أو أنها على الأقل كثر اسعمالها فيه لأن الإنسان كان يشعر تحت
السموات الصافية بحاجة إلى ما يدفع عنه الأسواء.

وقد عهد في الحضارة المصرية اسعمال الأسورة والتماثيل والأحجار الكريمة التي
كانوا يزعمون أنها تجلب السعادة، وإن الكتابات على ورق البردي التي كانت تلف
وتحاط في الثوب ليحملها الإنسان وكان يترين بها الرجال والنساء بعقود الصفر
المخفي ومن حردون محفور على الحجر أو على المعدن كلما كانت تعاويذ للوقاية لا
أشياء للزينة والتبرج يراد منها طرد الأرواح الشريرة والأمراض ودفع الخراب
والموت.

واعتماد الآشوريون والبابليون أن يكتبوا بعض كلمات سحرية وتراكيب للشفاء على
عصابتين إحداهما من قماش أبيض والثانية من قماش أسود وتقوم هاتان العصابتان
مقام العويذة بأن كانوا يضعونها على الأيدي أو على الجبهة، وقد نقلوا هذه الطريقة
إلى الاسرائيليين مع شيء من التعديل فيها ولكنها لا تكاد تختلف عنها كثيراً ومع أن
الشعب الاسرائيلي كبير الاعتقاد بالمولى فهو يعتقد بتأثير التعاويذ.

وتشير التوراة إلى هذه العقيدة فقد وردت فيها عدة آيات في التعاويذ والأحرار،
ومعظم التعاويذ اليهودية عبارة عن صفائح معدنية أو حلق أو جذور أو عصائب من

الرق كتب عليها اسم المولى أو آية من التوراة وبعضها مؤلف من جذع بعض الأشجار أو من حبات قمح وضعت في كيس جلد تناط في عنق الأطفال أو الحيوانات على حد سواء، ويلبس البالغون من الاسرائيليين تعاويذ على صفة خواتم.

وقد شاخ استعمال التعاويذ بين اليهود منذ القرن الأول إلى القرن السابع للميلاد وكان الرومان واليونان يعتقدون كأبناء اسرائيل بتأثير التعاويذ ولما ظهرت النصرانية لم يكن من تأثيراتها إلا أنها حولت مجرى الخرافات وحلتها بالاسم والأعمال فأخذ الناس يعتقدون بالأيقونات والصور والتماثيل وبعض المعابد كما كان البشر يعتقدون من قبل بتأثير بعض الينابيع أو بعض المغور الآهله بالجن.

أما الشرق الأقصى فقد فاق الشرق القريب والغرب باعتماد أهله بالتعاويذ، فالصينيون والهنود اعتقدوا ولا يزالون يعتقدون بنفعها واقتبسها البراهمة والطاوسيون والبوذيون واقسوها عنهم من النحل والملل، ولشعوب الهند الصينية كالخمريين والشميين والاناميين ممن امترجوا ببعض الأمم الراقية أساليب كثيرة من التعاويذ وللهنود نوع من الخرز يزعمون أنه يقي حامله من كل سوء وينيله كل خير وللأناميين والصينيين نوع من البطانات يكتبون عليها كلمات أو ألغازاً ويجعلونها في الأعناق عوذة كما أنهم يستعملون الأنواط والأقراط الذهبية والفضية وأظافر النمر وغيرها لدفع الأرواح الشريرة.

جاء الإسلام وهو آخر الأديان وفيه أمور من اليهودية والنصرانية ولم يتيسر له مثل غيره أن يتخلص من عدوى سرعة الاعتقاد فاستمال العامة بأن أقرهم على بعض معتقداتهم على نحو ما فعلت النصرانية، وربما كان الإسلام على سذاجته المملوءة بالتقوى والنفع أكثر الأديان تسامحاً في معنى التعاويذ وذلك لأنه انتشر بين شعوب

الشرقيين تأهلت فيهم الخرافات منذ القدم، ولم يأت الإسلام غير توحيد صورة
التعاويد الظاهرة بعض الشيء عند جميع الشعوب الإسلامية.

فتعاويد المسلمين في الشرق الأقصى تكاد تكون كلها عبارة عن سور من القرآن أو
حكم أو كلمات لا يفهم لها معنى تكتب على الورق أو القماش أو على نصل أو
صفحة من معدن ويستعملون في كتابة هذه الأحراز ماء الزعفران أو الكركم أو ماء
الورد أو ماء الزهر وتسامح المالايو والجاويون فأخذوا يستعملون الحبر الافرنجي.

ومن التعاويد ما ينفع في جميع حالات الحياة فمنها للرباء وللمرض وللحريق وللحر
ومنها ما يلبسه الغزاة في حروبهم والنساء لجلهن أو لحفظ ما لهن من ولد ومنها ما
يترل المطر ويفتح الكنوز ويحرس الحيوانات ومنها ما يبقى من قرص الذباب ونقيق
الضفادع، أما عدد ما يحمل منها فراجع إلى ذوق الشخص وكذلك يضعها في جميع
أطراف بدنه مؤقتاً أو دائماً ومعظم التأليف الموضوعة في فن الرقية والتعاويد من
تأليف أناس من مسلمي إفريقيا وأكثر ما يعول عليه بين المغاربة والمشاركة كتاب شمس
المعارف ولطائف العوارف ولهذا الكتاب عندهم حرمة تكاد تقرب من احترامهم
الكتاب العزيز منهم لا يمسه إلا مطهرين.

وشاع استعمال التعاويد بين العرب والترك ومسلمي إفريقيا الشمالية والشرقية
والفرس وهم مكثرون منها وشعوب مانالايو والبولينيزيين وسكان مدغسكر، والمالايو
وهم من شيعة أكثر الشعوب الإسلامية إغراقاً في استعمال التعاويد، وكذلك الحال
عند البروكويين والماكاساريين في سيليب والأتشينيوا والبانافيين في سعومطرا
والداياكيين في بورنو والتاكالين والبيزيين في جزائر فيلبين.